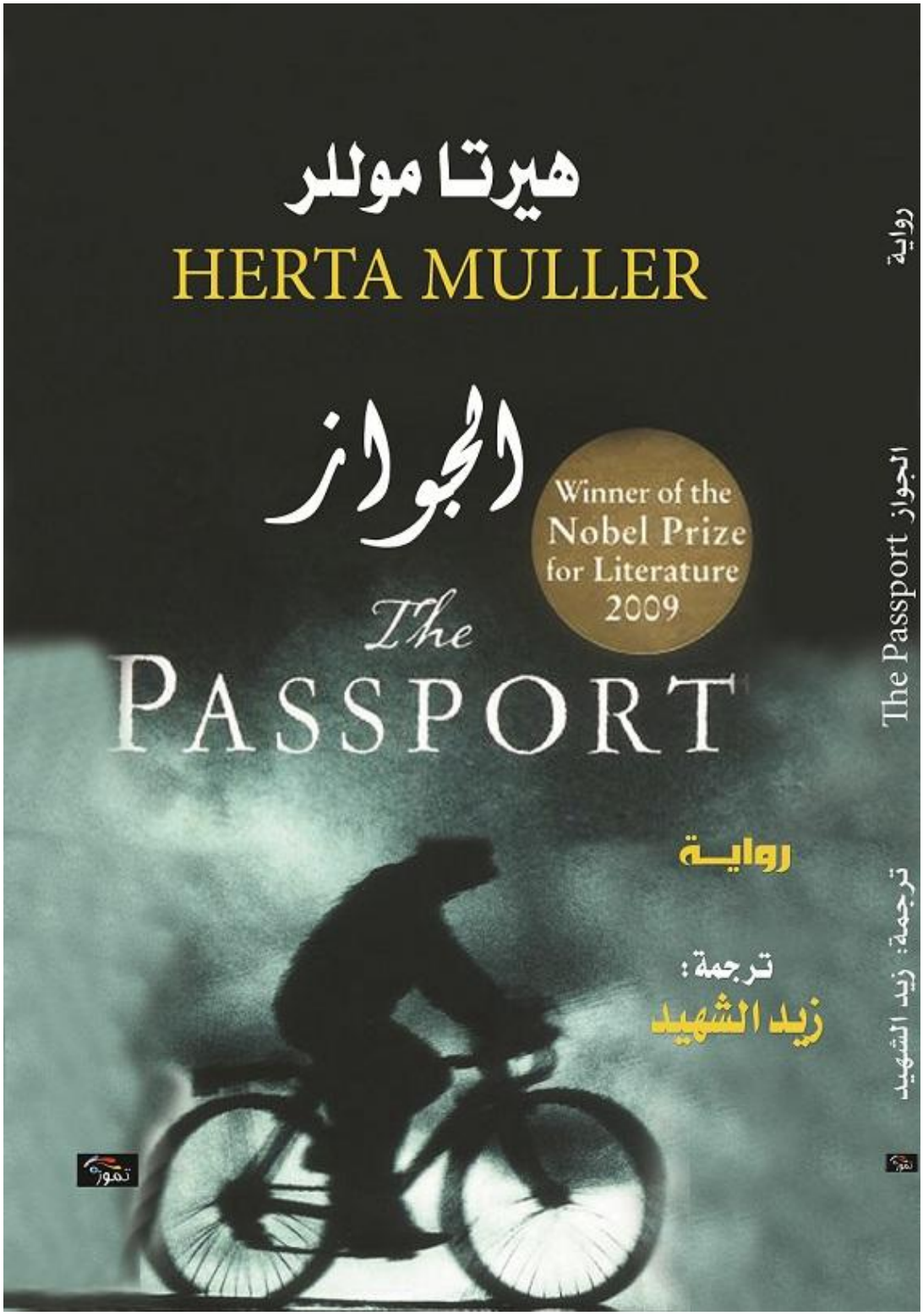
هيرتا موللر
HERTA MULLER
الجواز
Winner of the Nobel Prize for Literature 2009
The PASSPORT
رواية
ترجمة: زيد الشهيد
رواية
The Passport الجواز
ترجمة: زيد الشهيد

رواية (الجواز) The Passport

هيرتا موللر .. الحائزة على جائزة نوبل للآداب عام 2009

ترجمة : زيد الشهيد

مقدمة المترجم

((لست أنا من نجح، إنها مؤلفاتي))

اعتاد الأدباء والمتابعون ؛ إلى جانبهم دور النشر في أصقاع العالم كافة انتظار شهر أكتوبر من كل عام ليكحلوا عيونهم وينغموا مسامعهم بطلعة واسم مَن ينال جائزة نوبل في الآداب ليندفعوا إلى معرفة رأي اللجنة التي اختارت ذلك المرشح الذي أقنعها بأعماله وأثبت أنه أفضل الأدباء في حقل إبداعه ، ومن ثم دخول مرحلة التعريف به ، وقراءة ونشر إنتاجه في أكثر من لغة من لغات العالم . وفي العام 2009 استطاعت الروائية الالمانية الاصل ، الرومانية الجنسية هيرتا موللر أن تنتزع الجائزة من بين عدد غير قليل من الروائيين المرشحين لنيلها .. يصفها سعيد بو خريط الذي التقاها بعد نيلها الجائزة بأنها ((صاحبة جسم ضئيل، طائر صغير جدا وشاحب كثيرا، يكسوه ريش أسود حذاء، سروال، قميص تنبثق منه عينان واسعتان وقلقتان. مبتسمة، لكنها مضطربة إلى حد أن كل كيانها، يظهر كأنه ممتد على حبل))* هي التي عاشت طفولة مضطربة في رومانيا التي حكمها شاوشيسكو حكماً شموليا يرى إلى الاقليات بمنظار الدونية وعدم الولاء .

تعود أصول هيرتا موللر إلى أولئك الالمان الذين قدموا في القرن الثامن عشر إلى الاراضي الهنغارية على اثر تشجيع حكام هاسبورغ الذي يحكمون من فيينا للعيش في الاراضي التي تخلت عنها الامبراطورية العثمانية لهنغاريا . ثم أقرت ((بعض هذه الاراضي بمجتمعاتها الألمانية السليلة إلى رومانيا بعد الحرب العالمية الاولى ، والاقلية الألمانية هناك بعد أن حصلت على حماية خاصة خلال اتحاد هتلر احتفظت بشخصيتها القومية المميزة في فترة الحكم الشيوعي .)) عانت الاقلية الالمانية في رومانيا الاضطهاد السياسي جنباً إلى جنب مع الاقليات الاخرى .. توفي أبوها ولمّا تزل صغيرة فعاشت في كنف أمها التي كانت تعمل في الحقول طيلة اليوم ورُحِّلت والدتها إلى معسكر اعتقال في الاتحاد السوفياتي بعد الحرب .**

ولقد تعرضت موللر طيلة وجودها تحت حكم شمولي يبغض القومية الالمانية إلى مضايقات عديدة ، وخصوصاً في عقدي السبعينات والثمانيات حين كانت شابة . وطردت من أول عمل لها كمترجمة بعد أن رفضت العمل لحساب الشرطة الخاصة التابعة للديكتاتور السابق نيكولاي تشاوشيسكو.

في روايتها ((الجواز)) تقدم موللر نماذج مستلبة تعيش تحت خيمة العسف السلطوي ومفردات الحياة التي تخلو من الامل وسط رغبة دفينة في التسلل والخروج إلى فضاء الحياة الحرة الكريمة عبر جهاد متواصل لأجل الحصول على جواز . وبغية انجاز ذلك لابد من تنازلات كبيرة وكثيرة تقدم للقائمين على ذلك او للسماسرة ورجال السلطة الذين يعيشون البهجة على آلام الناس دون أن يؤنبهم ضمير أو تؤثر فيهم افكار كان ترى في الانسان اثمن رأسمال .

اللغة لدى موللر تراكيب لجمل قصيرة تبث أريج فكاهة تترك مرارة في قرارة نفس المتلقي رغم أن الاجواء لحظة القراءة ترسم صوراً لطبيعة جميلة تبعدنا عن اجواء كافكا الرمادية الخانقة . لغة توحي بقصر نَفَس الروائية وبامتداد لوعتها في نفس الوقت .. لغة ترسم فراشات تطلقها الروائية كرسائل قصيرة للمعاناة بمثابة شفرة

على المتلقي استلامها ومن ثم ترجمتها لأسى طويل عاشته وعانته موللر طيلة وجودها في رومانيا وقبل ان تنتقل إلى المانيا لتستقر وتنال جائزة نوبل من هناك .

المترجم

- **مجلة نزوى – مايس 2010**

**** لاري وولف – ت. نجاح الجبيلي عن نيويورك تايمز – صحيفة الزمان – العدد 3591 ليوم الاربعاء 12مايس 2010**

ثقبُ القِدر

حولَ نصبِ الحرب التذكاري ورودٌ تشكّل أجمَّةً ترتفع بكثافة تكاد تخنق العشب . أزهارُها بيضاء مُلتفةٌ بإحكامٍ كأنَّها أوراقٌ ملفوفة تُصدر حَفيفاً . الفجرُ يتكسَّر ، وقريباً سيحلُّ النهار .

كل صباح وفيما هو يقود دراجته وحيداً على امتداد الطريق باتجاه المطحنة وندِش يعدُّ الأيام . وأمام نصب الحرب التذكاري يعدُّ السنوات . عند أول شجرة حور وراء نصب الحرب حيث دائما يبلغ ثقب القِدر وندِش يعدُّ الأيام . وفي المساء عندما يغلق المطحنة يروح يعدُّ السنوات والأيام مرّةً أخرى .

من على بُعدٍ بإمكانه رؤية الورود البيض الصغيرة ، و نصب الحرب التذكاري ، وشجر الحور كذلك . وعندما تكون الدنيا غارقة في الضباب وفيما هو يقود دراجته فانَّ بياضَ الورود وبياض الحجارة يكونان قريبين منه . يستمر وندِش في قيادته . وجههُ مُندّى ، ومواصلاً سيره يستمر حتى يصل إلى المطحنة . مرّتان كان الشوك على أجمة الورد أجردَ ، وما تحتها من الأعشاب كان صدئاً . مرتّان كانت شجرة الحور جرداء جداً بحيث تظهر التشققات جَليّةً على خشبها . مرتان كان هناك ثلجٌ في الممرات .

يعد ويندِش سنتين عند نصب الحرب التذكاري ومائتين وواحد وعشرين يوماً في ثقب القدر ، عند شجرة الحور.

يومياً وعندما يُرَج ويندش من قبل ثقب القِدر يفكر : " النهاية هنا ." منذ اتخذ وندش قرار الهجرة صار يرى النهايةَ في كل مكان من القرية مثلما يرى الزمنَ ساكناً لأولئك الذين يفضّلون البقاء . ويرى الحارسَ الليلي سيبقى إلى ما وراء النهاية .

وبعد أن يعدَّ ويندش مائتين وواحداً وعشرين يوماً ويرجَّهُ ثقب القدر يترجّل للمرة الأولى . يسند دراجته على شجرة الحور . وقعُ خطاه يُسمَعُ عالياً . الحَمامُ البرّي يصفقُ بأجنحته خارج باحة الكنيسة . حَمام رمادي كالضوء ، بيد أن ما يجعله مختلفاً هو الضوضاء التي يصدرها صفقُ الأجنحة .

يرسم وندِش إشارة الصليب على صدره .. مزلاج الباب مبلل . يلتصق بكف وِندش .. باب الكنيسة مغلق والقديس انتوني في الجانب الآخر خلف الحائط يحمل زنبقةً بيضاء وكتاب بُني .. محبوس في مكانه .

يرتجف ويندِش . يطالع امتداد الشارع حتى نهايته .. العشب يخفق في القرية .. رجل يخطو في آخر الشارع . الرجل خيط اسود يمشي في الحقل . تموّجات العشب ترفعه فوق الأرض .

ضفدعُ الأرض

المَطحنةُ صامتة . الجدرانُ صامتة والسطحُ صامت . والعجلات صامتة . ضغط وندِش زر الكهرباء فأندلع الضوء . الليل بين العجلات . الهواء المعتم ابتلع غبار الأرضية ، والذباب ، والأكياس .

الحارس الليلي جالس على مصطبة المطحنة غارق في النوم بفمٍ مفتوح . عينا كلبه تومضان تحت المصطبة .

يحمل وندش الكيس بيديه وبمساعدة ركبتيه يسنده على حائط المطحنة . ينظر الكلب ثم يتثاءب فتظهر أسنانه البيض عريضة .

يدور المفتاح في رتاج باب المطحنة . يُصدر صريراً بين أصابع وندِش . وندش يعد . يشعر بصدغيه ينبضان ويروح يفكّر : " رأسي ساعة . " . يضع المفتاح في جيبه . ينبح الكلب . " سأنهي كل شيء حتى يقدح الربيع ." يقولها وِندش بصوتٍ عالٍ . يضغط الحارس الليلي قبعته على جبهته . يفتح عينيه ويتثاءب . " جندي في واجب الحراسة " يقول .

يتمشّى وندش إلى حيث بركة المطحنة . عند الحافة ثمّة كومةُ قش وبقعة معتمة في انعكاس ماء البركة . يسحب وندش دراجته خارج القش .

" يوجد جرذي في القش " يقول الحارس الليلي .

يلتقط وندش عيدان القش من فوق سرج الدراجة ويرمي بها إلى ماء البركة . " لقد شاهدته . " يقول . " شاهدته يرمي بنفسه في الماء ." . تعوم العيدان في الماء مثل الشَّعر، تدور حول نفسها مكونةً دوّامات صغيرة . فوَّهة البركان المعتم تطفو . وندش ينظر إلى انعكاس قوامه المتحرك .

يرفس الحارسُ الليلي الكلبَ في بطنه . الكلب يعوي . وندش ينظر في فوهة البركان ويسمع العواء تحت الماء ." الليالي طويلة . " يقول الحارس الليلي . يتراجع وندِش خطوة إلى الوراء بعيداً عن الحافة . يرى الصورة الثابتة لكومة القش بعيدة عن حافة البركة. يراها راكدة . لا شي تفعله لفوهة البركان ، إذ هي أكثر شحوباً من الليل .

الصحيفةُ تُصدر خشخشةً . الحارسُ الليلي يقول : " مُعدتي فارغة " . يستخرج بعض الخبز ولحم خنزير . تلتمع السكين في يده . يروح يمضغ . يخدش رسغه بنصل السكين .

يقود وندِش دراجته إلى أمام . ينظر إلى القمر . بهدوء يتفوَّه الحارس الليلي ولمّا يزل يمضغ " الإنسان لاشيء ، فقط طائر درّاج* في الدنيا . " . يرفع وندِش الكيس ويضعه على الدراجة . يقول " الإنسان قوي . أقوى من الوحوش . " .

زاوية الصحيفة تطير طليقة . الريح تجرُّها كما لو كانت يدٌ تفعل ذلك . يضع الحارس الليلي السكّين على المصطبة . " لقد نمتُ قليلاً . " يقول . ينحني وندش على الدراجة ثم يرفع رأسه " وأنا أيقظتُك ." يقول .. " لستَ أنت . زوجتي أيقظتني . " ينفض فتاتَ الخبز من على سترته . " اعرف " يقول " بأني لم أكن قادراً على النوم . القمر كبير . حلمتُ بالضفدع الجاف . كنتُ متعباً حد الموت . ولم استطع النوم . ضفدع الأرض كان مضطجعاً على السرير . كنت في حديث مع زوجتي وضفدع الأرض كان ينظر بعيني زوجتي . يمتلك ضفيرتها ، وعنده قميصُ نومِها الذي يرتفع إلى المعدة . قلت " غطّي نفسَكِ . شيئُكِ مترهل ". قلتُ ذلك لزوجتي . سحب ضفدع الأرض قميص النوم إلى أعلى فخذيه . جلستُ أنا على الكرسي بجوار السرير . ابتسم ضفدع الأرض بفمِ زوجتي . " الكرسيُّ يصر" ، هوَ قال . لم يكن الكرسي يصر . مررَّ ضفدعُ الأرض ضفيرة زوجتي عبر كتفه . كانت الضفيرة طويلة كطول قميص النوم . قلتُ : شعرُك استطال . رفع ضفدع الأرض رأسه وصرخ : أنت سكران .. ستسقط من الكرسي ."

للقمر بقعةٌ حمراء من غيمة . يتكىء وندش على جدار المطحنة " الرجال أغبياء " يقول الحارس الليلي " ودائما مستعدون لأن يغفروا . " . يأكل الكلب قشرة لحم الخنزير . " غفرتُ لها عن مسألة الخبّاز . غفرتُ لها عمّا حدث في المدينة ." يمسَّدَ نصل السكين بطرف إصبعه ." أهل القرية جميعاً سخروا منّي . ". يتنهد وندش

." لا استطيع النظر في عينيها بعد الآن ." يقول الحارس الليلي ." شيء واحد فقط لم اغفره لها ؛ ذلك أنها ماتت بسرعة كما لو أنها لم تقم علاقة مع احد ."

" الله يعلم " يقول وندِش . " لأي شيء يَسعينَ ، هؤلاء النسوة ! " يهزُّ الحارس الليلي كتفيه استهجاناً :" ليس لأجلنا " يقول " ليس لأجلي . ليس لأجلك . لا اعلم لأجل مَن ". يضربُ الكلب . " وبناتنا " يقول وندش ." الله يعلم ، سيصبحن نساءً أيضاً "

ثمَّةَ ظلٌّ على الدرّاجة ، وظلٌّ على العشب ." ابنتي " ، يقول وِندِش، وازناً الكلام في رأسه . " ابنتي أميلي لم تعد عذراء أيضاً ." . يطالعُ الحارسُ الليلي البقعةَ الحمراء في الغيمة . يقول وندش " ابنتي لديها بطّتا ساقين كأنهما بطّيختين . "كما قلتَ ، لا استطيع النظر إليها طويلاً بعينيَّ . ثمّةَ ظلٌّ في عينيها ." يدير الكلب رأسه ." العينان تكذبان .. لكن بطَّتي الساقين فلا . " ، يقول الحارس الليلي . يفصل قدميه جاعلاً مسافةً بينهما " انظر كيف تمشي ابنتك " يقول " عندما تضع قدميها على الأرض وتنفرج أصابع حذائها إلى الخارج فان ذلك قد حصل ."*****

يقلِب الحارس الليلي قبعته في يده . الكلب يتمدد ويراقب . وِندِش صامت . " الندى يتساقط ." يقول الحارس الليلي " سيتسبب برطوبة الطحين . سينزعج رئيس البلدية . "

ينطلق طير طائراً فوق البركة . يطير بطيئاً ومستوياً كما لو انه يُسحب بخيط ، قريباً من سطح الماء الذي يبدو كما لو أنه ارض . يتابعه وندش بعينيه " هذه البومة تشبه قطّة " ، يقول الحارس الليلي ، يرفع يده إلى حيث فمه . " الضوء عند بيت الأرملة كرونر ظل مشتعلاً لثلاثة ليالٍ " . يدفع وندش دراجته . " لا يمكن أن تموت " ، يقول " لم تستقر البومة على أي سطح لحد الآن " .

يخطو وندش فوق الأرضية المعشوشبة ويطالع القمر .

" أقول لك ، يا وندش : النساء خدّاعات " . يفوه الحارس الليلي .

---

* pheasant طائر ذو ذيل طويل شبيه بطائر الحجل .

** في اللهجة العراقية يطلق على البطيخة (رقّيّة)

*** أي أنها لم تعد عذراء .

الإبرة

ما يزال الضوء يشتعل في بيت النجار . وندِش يتوقف . زجاج النافذة يلتمع . يعكس الشارع . يعكس الأشجار . تمر الصورة خلال الستارة المخرمة . خلال باقات الورد الساقطة في الغرفة . غطاء تابوت يستند على الحائط بجانب الموقد القرميدي منتظراً موت الأرملة كرونر . اسم كرونر مكتوب على غطاء التابوت . الغرفة تبدو فارغة بالرغم من الأثاث ، ذلك بسبب الإنارة الصارخة .

يجلس النجار على كرسي وظهره باتجاه المنضدة . تقف زوجته أمامه مرتدية قميص نوم مخطط . تمسك بإبرة يتدلى منها خيط رمادي . يمدُّ النجار سبّابته أمام وجه زوجته . بالإبرة تلتقط المرأة شظية خشب من لحم السبابة . سبّابته تنزف دماً فيسحبها النجار إليه . تترك المرأة الإبرة تسقط . تخفض عينيها وتضحك . يمد النجار يده ليداعبها تحت قميص النوم الذي يرتفع . المُخطط يتملَّص . يمدُّ النجار يده ليداعب نهديها بإصبعه النازف . نهداها ضخمان ، يترجرجان . يتدلى الخيط الرمادي على ساق الكرسي . الإبرة تتأرجح ، رأسها بمواجهة ارض الغرفة . السرير بجانب غطاء التابوت . الوسادة معمولة من الدمسق الأحمر الداكن . تتقاطع عليها بقع كبيرة وأخرى صغيرة . قماش الوسادة أبيض وفرشة السرير بيضاء .

تطير بومة من أمام النافذة . خفقُ احد جناحيها يحملها يمر عبر لوح الزجاج . تندفع في الطيران . يسقط الضوء في زاويةٍ فتصبح البومة بومتين .

متقافزة راحت المرأة هنا وهناك أمام المنضدة . يحاول النجار اغتصاب ما بين الفخذين . المرأة ترى الإبرة معلقة . تحاول الوصول إليها . الخيط يتأرجح . تترك المرأة يدها تنزلق أسفل جسدها . تغمض عينيها . تفغر فمها . يسحبها النجار من رسغها إلى الفراش . يرمي ببنطاله على الكرسي . ملابسه الداخلية تبدو كخرقة بيضاء تحشو ساقي بنطاله . تفرج المرأة فخذيها وتنحني على ركبتيها . معدتها مليئة بالعجين . ساقاها إطار نافذة ابيض على فرشة السرير .

صورةٌ بإطار اسود معلقة أعلى السرير . وشاح الرأس لوالدة النجار يقع مقابل قبعة زوجها . في الزجاج بقعة . البقعة على ذقنها . تبتسم خارج الصورة . قريبة من الموت بأقل من عام . هي تبتسم . تبتسم من على الجدار في الغرفة .

دواليب البئر تدور لأن القمر كبير ويشرب الماء . ولأن الريح في أشعة دواليبها فإنَّ الكيس رطب ، معلق أعلى الدواليب المتخلخلة مثل إنسان نائم . " الكيس معلق خلفي مثل إنسان ميت " يفكر وندِش .

يحس وندِش بعضوه متصلباً عنيداً قبالة فخذه .

" والدة النجار قد بردت حتى الموت " يفكر وندِش "

الداليا البيضاء

في حرِّ شهر آب/ أوغست أنزلت أمُّ النجار بطيخة كبيرة بدلو إلى البئر . البئر صنع أمواجاً حول الدلو ، تدفق الماء حول الجلد الأخضر للبطيخة . برّدَ الماءُ البطيخة .

كانت أم النجار قد ذهبت إلى الحديقة وبيدها سكّين كبيرة . مجاز الحديقة كانَ أخدوداً ، وشجيرات الخس تبزغ يانعة . أوراقها ملتصقة بحليب أبيض يتكرّس في سويقاتها . جعلت أم النجار السكين أسفل الأخدود . شجرة الداليا تتورّد من حيث يبدأ السياج وتنتهي الحديقة . وصلت الداليا إلى مستوى كتفها . شمّت أم النجار الداليا . صرفت وقتاً طويلاً في شمِّ أوراقها البيض . سحبت نفَساً طويلاً وسط الداليا . مسحت جبهتها ، ثم بعثت بأنظارها إلى الساحة .

قطعت أم النجار الداليا البيضاء بالسكين الكبيرة .

" كانت البطيخة مجرَّد ذريعةً " قال النجار بعد المأتم" كانت الداليا سوء حظّها " ، وجيران النجار قالوا " كانت الداليا رؤيا " .

" لأن ذلك الصيف كان جافّاً جداً فأنَّ جميع أوراق الداليا كانت بيضاء ومتراصَّة ." قالت زوجة النجّار ." كانت زهرتها أكبر من أية زهرة يمكن لداليا أخرى حملها . ولأن ذلك الصيف خلا من الرياح فإنها لم تصل حد الانهيار والسقوط . بل استمرت تتنفس ولم تذبل .

" لا يمكنكَ تحمّلها . " قال النجار " لا أحد يطيقها " .

لا أحد يعرف ماذا فعلت أم النجار بالداليا التي قطعتها . لم تأتِ بها إلى البيت . لم تضعها في الغرفة . لم تتركها مرمية في الحديقة حتى .

" رجعت من الحديقة وبيدها السكين الكبيرة " قال النجار " بعض من الداليا في عينيها . بياض عينيها كان جامداً . "

قال النجار " ربما كانت تنتظر البطيخة فقطعت الداليا إلى قطعٍ . قطَّعتها بيديها . ليست ثمة بتلة واحدة مرمية على الأرض ، كأن الحديقة كانت غرفة .

" اعتقد أنها حفرت ثقباً في الأرض بالسكين الكبيرة ، ودفنت الداليا . " قال النجار .

سحبت أم النجار الدلو إلى خارج البئر بعد الظهر . حملت البطيخة إلى منضدة المطبخ . طعنت جلدها الأخضر برأس السكين . أدارت ذراعها وحركت السكين بطريقة دائرية . . قطعت البطيخة من وسطها . البطيخة طقطقت . كانت طقطقة موت .. في البئر ، على منضدة المطبخ ، حتى وهي تنشطر إلى شطرين كانت البطيخة لما تزل حيّة .

فتحت أم النجار عينيها على سعتهما . ولأن عينيها كانتا جافتين كالداليا فإنهما لم تنفتحا بصورة كبيرة .

تسرب العصير من نصل السكين . كانت عيناها صغيرتين ومليئتين بالكراهية آن نظرت إلى اللحم الأحمر . تتراصف البذور السود بذرة فبذرة مثل أسنان المشط .

لم تقطع أم النجار البطيخة إلى شرائح بل وضعت النصفين المنشطرين أمامها وحفرت اللحم الأحمر بطرف السكين " كانت تملك أجشع عينين رأيتهما في حياتي " قال النجار .

انساب السائلُ الأحمر فوق منضدة الطبخ . انسابَ من زاويتي فمِها . انسابَ إلى الأرض من خلال مِرفقيها . صارت الأرض لزجة بفعل السائل الأحمر للبطيخة .

" لم تكن أسنان أمي بيضاء وباردة " قال النجار " أكلت وقالت : لا تنظر إليَّ بهذه النظرة . لا تنظر إلى فمي .. كانت تبصق البذور السود على المنضدة . "

" نظرتُ بعيداً . لم اترك المطبخ . كنت خائفاً من البطيخة " قال النجار . " نظرتُ إلى خارج النافذة حيث الشارع . شخصٌ ما لا اعرفه كان يمشي مسرعاً ويحدِّث نفسه . سمعتُ أمي تحفر بواسطة السكين . سمعتُ مضغَها ، وبلعَها .. أمي ، قلت دون النظر إليها ، أوقفي الأكل . "

رفعت أم النجار يدها . " صرَخَت . نظرت إليها لأنها صرخت بصوتٍ عالٍ ." قال النجار " هددَّتني بالسكين : هذا ليس صيفاً، وأنت لستَ رجلاً . " صَرَخَت : صدغاي ينبضان . أحشائي تشتعل . هذا الصيف يرمي بحمم أعوام عديدة . البطيخ وحده الذي يُبرِّد أعماقي . "

مكينة الخياطة

الحصى صغير وغير منتظم . البوم يطلق صيحاته خلف الأشجار باحثاً عن سطحٍ يلتجىء إليه . البيوت تنتصب بيضاء مطليةً بطبقةٍ من الكلس .

ويندش يتحسس عضوه العنيد أدنى السرّة . الريح تضرب على الخشب . ريح متذبذبة تؤرجح الكيس في الأرض .

يسمع وندِش صوت زوجته تقول " وحش " . كل ليلة وحين يدفع وندش بأنفاسه صوب زوجته في السرير كانت تقول " وحش " . منذ عامين لم يعد لديها رحم في بطنها " نصحني الطبيب أن لا أمارس " تقول " لن ادع دواخلي في مأزقٍ من اجل إرضائك " . عندما تقول هذا يشعر وندش بغضب فاتر بين وجهها وعضوه . تمسك وندش من كتفه . في بعض الأحيان يستغرق ذلك هنيهة قبل أن تجد كتفه . وعندما تدرك كتف وندش تروح تفوه في الظلام قريبا من أذنه " كان يمكن أن تكون جَدّاً الآن . زمننا مرَّ وانتهى . "

في الصيف السابق كان وندش وهو في طريقه إلى البيت يحمل كيسين من الدقيق .

نقر وندش على النافذة . أضاء عمدة البلدة مصباحه من خلال الستارة " لماذا تواصل النقر ؟ " قال العمدة " ضع الدقيق في الساحة .. الباب مفتوح ." . كان صوته نائماً . تلك الليلة كانت ثمة عاصفة رعدية . وميض الرعد يضرب العشب المترامي أمام النافذة . أطفأ العمدة مصباحه. استيقظ صوته وتكلم بنبرة عالية :" خمس تسليمات أخرى ، يا وندش " قال العمدة " بعدها سيكون المال جاهزاً مع بداية العام الجديد . وفي عيد الفصح ستتسلَّم جوازك .". كانت ثمّةَ دفعة أخرى من الرعد . رفع العمدة بصره إلى النافذة " ضع الدقيق تحت السطح ؛ ستمطر " .

" اثنتا عشرة تسليمة لحد الآن ، وعشرة آلاف لَي* ، وعيد الفصح مرَّ وانصرف منذ زمن " يفكر وندش . مر وقت طويل منذ أن طرق النافذة . يفتح الباب الرئيسي . يضغط وندش الكيس على بطنه ويرفعه ليضعه في الساحة . يضع الكيس تحت السطح حتى وإن لم تمطر .

- لَي عملة نقدية رومانية

دراجته تضيء . يمسكها وندش قريبة منه عندما يتخذ طريقه إلى أمام . حين تمر الدراجة على العشب لا يمكن لوندش سماع وقع قدميه .

تلك الليلة كانت النوافذ جميعها معتمة ، وكان وندش قد توقف في المجاز الطويل . ومضَ برقٌ مُحدثاً شرخاً في الأرض . دفقةٌ من الرعد أجهزت على البيت ودفعته إلى عمق الشرخ . لم تسمع زوجة وندش المفتاح يدار في الرتاج .

وقف وندش في المَجاز . كان الرعد نائياً كثيراً عن القرية ، ما وراء الحدائق كان هناك سكون بارد يشيع في الليل . البؤبؤان في عينيه فاتران . لدى وندش شعور بأن الليل سيتحطم ، وسيتألق باهراً تلك اللحظة فوق القرية . وقف في المجاز وعرف إن هو لم يدخل البيت سيبصر عبر مد الحدائق النهاية الضيقة لكافة الأشياء ونهايته هو في كل مكان .

خلف الباب سمع وندش أنين زوجته المزمن والمعتاد مثل مكينة خياطة .

دفع الباب بقوة . أضاء المصباح . ساقا زوجته منتصبان على فراش السرير مثل إطاري نافذتين مشرعتين . كانا يرتعشان في الضوء . فتحت زوجة وندش عينيها على سعتهما . تحديقها لم يتأثر بسطوع الضوء بل كان ثابتاً .

انحنى وندش ففكَّ رباط حذائه . نظر من أسفل ذراعه إلى فخذي زوجته . شاهد إصبعها النحيف الموحل خارج الشعر. لم تكن تعرف أين تضع اليد ذات الإصبع . بسطته على بطنها العارية . طأطأ وندش نظره إلى حيث حذائه ، وقال " إذاً هذا ما كيف يكون مع مثانتِك ، سيدتي " . وضعت زوجة وندش اليد ذات الإصبع على وجهها . مدَّدت ساقيها ليلامسا قائمتي السرير . دفعتهما اقرب فأقرب سوية حتى تمكن وندش من رؤية ساق واحدة فقط وأخمصي قدميها .

مالت زوجة وندش بوجهها إلى الحائط وراحت تبكي بصوتٍ عالٍ . بكت لوقت طويل بصوت سني شبابها الأولى . بكت لفترة وجيزة وناعمة بصوت عمرها الحالي . نشجت لثلاث مرات بصوت امرأة أخرى ، ثم صمتت .

أطفأ وندش الضوء ثم تسلق إلى فراشه الدافىء . شعر بمادتها اللزجة كما لو أفرغت معدتها على الفراش . سمع وندش النوم يدفعها بعيداً عن هذا الوحل . فقط كان نَفَسُها يهمهم . كان هو تعباً وخالياً ، وبعيداً عن كل الأشياء . بدا صوتُ تنفسِها كأنه عند نهاية الأشياء جميعاً ، عند نهايته هو .

تلك الليلة كان نومُها بعيداً جداً ، حيث لا حلم يتمكَّن من إيجادها .

بقع سوداء

شبابيكُ الدباغ خلف شجرة التفاح مُنارةٌ بشكل ساطع . " لقد حصل على جوازه " يفكّر وندش . الشبابيك تسطع وزجاجُها عارٍ . باع الدباغ كلَّ شيء . الغرف فارغة " باعوا الستائر " وندش يكّلم نفسه .

يستند الدباغ على الموقد القرميدي . ثمة صحون بيض على الأرض . سكّين المائدة على عتبة النافذة . سترة الدباغ السوداء معلقة على مقبض الباب . زوجة الدباغ تنحني فوق حقائب السفر عند مرورِها . يستطيع وندش رؤية يديها . حركتهما تصنع ظلالاً على الحيطان الفارغة للغرفة . يستطيلان وينحنيان . ذراعاها يتموّجان مثل غصنين فوق الماء . يعدُّ الدباغ نقوده . يضع حزم الأوراق النقدية في أنبوب الموقد القرميدي .

خزانةُ الملابس مستطيل أبيض ، الأسرّةُ هياكل بيض . الحيطان التي بينها بقع سوداء . أرض الغرفة مائلة . الأرض ترتفع . ترتفع عالياً أمام الحائط وتتوقف عند الباب . يعدُّ الدباغ الحزمة الثانية من النقود . الأرض سوف تغطّيه . تنفض زوجة الدباغ الغبار من قبعة الفرو الرمادية . الأرض سترفع زوجة الدباغ إلى السقف . عند الموقد القرميدي أطلقت الساعة بقعة بيضاء طويلة مقابل الحائط المقابل . يغمض وندش عينيه . " الزمن في نهايته " يفكر . يسمع القطعة الصغيرة للساعة على الحائط تتك ويرى وجهَ ساعةِ البقع السود . الزمن ليست له ساعة يد . فقط البقع السود تدور . تحتشد سويةً . تدفع بنفسها خارج القطعة البيضاء . تقع على طول الحائط . القطع هي أرض الغرفة . البقع السود هي الأرض في الغرفة الأخرى .

رودي راكع على الأرض في الغرفة الفارغة . خلفه زجاج ملوَّن يمتد في صف طويل على شكل دوائر . حقيبة السفر الفارغة بجانب رودي . صورة معلقة على الحائط . هي ليست صورة . الإطار مصنوع من زجاج اخضر . داخل الإطار زجاج ثلجي بأمواج حمر .

تطير البومة فوق الحدائق . صراخها مرتفع . طيرانها عميق . طيرانها مليء بالليل . " قطة " ، يفكر وندش " قطة تطير " .

يمسك رودي ملعقة من الزجاج الأزرق قريباً من عينيه . بياض عينه يكبر . بؤبؤها كروي دامع يتلألأ في الملعقة . الأرض تغسل الألوان حتى حافة الغرفة . الوقت من الغرفة الأخرى يتلاطم أمواجاً . البقع السود تطفو إلى أمام . الجزء الزجاجي من المصباح يرتعش . الضوء ممزَّق . النافذتان تسبحان إحداها إلى الأخرى . يمسك وندش رأسه بيده . نبضه يضرب في رأسه . صدغه يضرب في رسغه . أرضيات الغرف ترفع نفسها ، تقترب لبعضها ، تتماس . تغوص منحدرة في الشق . ستكون ثقيلة ، والأرض ستنكسر . سيتوهج الزجاج ، سيصبح خُرّاجاً مرتعشاً في حقيبة السفر .

يفتح وندش فمه . يشعر أن البقع السود تنمو في وجهه .

الصندوق

رودي مهندس ، عمل في مصنع للزجاج منذ ثلاثة أعوام . المصنع يقع في الجبال .

خلال الأعوام الثلاثة تلك زار الدباغ ابنه مرةً واحدة . فقط " سأزور رودي في الجبال لفترة أسبوع ". قال الدباغ ذلك لوندش . بعد ثلاثة أيام عاد الدباغ . عاد مُحمرَّ الخدين وتعِب العينين جرّاء افتقاده الرقاد " لم استطع النوم هناك " قال الدباغ " لم أنم للحظة واحدة . كنتُ اشعر أن الجبال في رأسي ليلٌ " . "

" في أي مكان تنظر تجد جبالاً ." راح الدباغ يشرح " ترى أنفاقاً وأنت في الطريق إلى الجبال . أنفاق سود كالليل . القطار يمر خلال الأنفاق . الجبل برمته يقرقع في القطار . يتسبب بتوالد طنين متواصل في أذنيك ،

وخفق مستمر في رأسك . أولاً : ليلٌ اسود كالح كالقار ، بعدها ضوء نهار رطب . " قال الدباغ " وتغيير متواصل . شيء لا يُحتمَل . كل واحد يجلس في مقعده دون أن ينظر خارج النافذة حتى . عندما يكون هناك ضوء ينشغلون بالقراءة . لا يعيرون بالاً حين تنزلق الكتب من ركبهم . كان عليَّ أن أكون حذراً فلا أمسهم بمرفقيَّ . يتركون كتبهم مفتوحة عندما يشيع الظلام : رحتُ أصغي . أرهفت السمع في الأنفاق من أجل سماع في ما إذا كانوا أغلقوا كتبهم . لم اسمع شيئاً من ذلك . وعندما عاد الضوء مرة أخرى نظرت إلى الكتب أولا وبعدها في عيونهم . كانت الكتب مفتوحة لكن عيونهم مغلقة . فتحوا عيونهم بعدي . أخبرك ، يا وندش " قال الدباغ " كنت فخوراً في كل وقت لأني افتح عيني قبل أن يفعلوا هُم . استطيع استشعار نهاية النفق . فلي معرفة بذلك عندما كنت في روسيا " قال الدباغ . مسك جبهته بيده " لم تكن لي خبرة بذلك من قبل . ليالٍ كثيرة جداً مليئة بالقرقعة ونهارات كثيرة مشرقة جداً . في الليل ، في الفراش سمعت الأنفاق . كانت تهدر . تهدر مثل عربات الحفر في جبال الأوراس " .

طأطأ الدباغ رأسه . قليلاً وأشرق وجهه . نظر من أعلى كتفه إلى المنضدة ليتأكد إن كانت زوجته تصغي لكلامه ، ثم همس " نساء يا وندش . أقول لك ، توجد هناك نساء . الطريق الذي يسلكنه . يكسبن أكثر من الرجال ." ضحك الدباغ " شيء يدعو للرثاء " قال . " إنهنَّ (ولاشين*) ممتعات في الفراش لكنهنَّ لسنَ ماهرات في الطبخ مثل زوجاتنا " .

---

* Wallachian : وصف يطلقه الألمان والهنغاريون الذين يقطنون في رومانيا على الرومانيين .

ينتصب إناء صغير على المنضدة كانت زوجة الدباغ خفقت فيه بيضاً . " لقد غسلت قميصين " قالت " كان الماء اسود ، ذلك يُظهر كم هو وسخ هناك ! ، أنت لم تره جرّاء عتمة الغابات .

نظر الدباغ إلى الإناء . " على القِمّة ، في أعلى الجبل الشاهق هناك مصحّة للمجانين " قال " يتجولون خلف السياج بسراويل زرق وسترات سميكة . احدهم يصرف النهار بطوله يبحث عن مخروط الآيس كريم في العشب . يكلم نفسه ، يقول رودي أنه عامل منجم أعلن الإضراب . "

غمست زوجة الدباغ إصبعاً في بياض البيض . " هذا ما تحصل عليه " قالت ولعقت طرف إصبعها .

" واحد آخر كان في المصحة لمدة أسبوع فقط . أعيد إلى المنجم مرةً أخرى . كان قد صُدم بسيارة " .

رفعت زوجة الدباغ الإناء " هذا البيض قديم " قالت " الثلج موجع " .

طأطأ الدباغ رأسه " بإمكانك مشاهدة المقابر متلاصقة من القمة نزولاً إلى منحدرات الجبال " .

وضع وندش يديه على المنضدة بجانب الإناء . قال " لا أفضل أن أكون مدفوناً هناك " .

بلا وعي نظرت زوجة الدباغ إلى يدي وندش " نعم . الدفن في الجبال يجب أن يكون مُسرّاً " قالت . " أنها بعيدة من هنا فحسب . لا نستطيع الوصول إلى هناك، ورودي لا يأتي إلى البيت مطلقاً . "

" الآن تعمل كيكاً مرة أخرى " قال الدباغ " ورودي لا يمكنه تناوله حتى " .

سحب وندش يديه من المنضدة .

" هبطت الغيوم فوق المدينة " قال الدباغ . " الناس تتجوَّل بين الغيوم . كل يوم عاصفة رعدية . تلقّى الناس صواعق وهم في حقولهم ."

وضع ندش يديه في جيبي بنطاله . ونهض متجهاً إلى الباب .

" لقد أتيت بشيء معي " قال الدباغ . " رودي أعطاني صندوقاً صغيراً لأميلي " . سحب الدباغ جارواً نصف مفتوح . أغلقه مرة أخرى . حدّق في حقيبة فارغة . نظرت زوجة الدباغ في جيب سترته . فتح الدباغ خزانة الملابس .

منهكة رفعت زوجة الدباغ يديها " سنبحث عنه " قالت . نظر الدباغ في جيوب بنطاله " لقد كان الصندوق بيدي هذا الصباح " قال .

المطواة

يجلس وندش عند نافذة المطبخ منهمِكاً بحلاقة ذقنه . يرسم رغوة بيضاء عبر وجهه . تنسحق الرغوة على خديه . ينشر وندش الثلج حول فمه بطرف إصبعه . ينظر في المرآة فيكون بوسعه مشاهدة باب المطبخ ووجهه .

يرى وندش انه رسم الكثير من الثلج على وجهه . يشاهد فمه مرتخٍ في الثلج . يشعر بعدم القدرة على التكلم بسبب وجود الثلج في منخريه وعلى ذقنه .

يفتح وندش المطواة . يختبر شفرة نصلها بباطن إصبعه . يبدأ بتحريك شفرة النصل من تحت عينه . لم يتحرك عظم فكّه . يسحب وندش التجاعيد لجعلها منبسطة أسفل عينه . ينظر إلى خارج النافذة فيشاهد العشب الأخضر .

المطواة تهتز . يشتعل النصل .

كان وندش أنجرح تحت عينه قبل عدة أسابيع . جرحٌ احمر له نتوء ناعم من الصديد . وكل مساء كان الكثير من الغبار عليه . لعدة أيام نمت قشرةٌ تحت عينه .

كل صباح يترك وندش البيت مع القشرة . عندما يغلق باب المطحنة وعندما يضع القفل في جيبه يتحسس وندش ذقنه . كانت القشرة قد زالت .

" ربما تتمددّ القشرة في ثقب القدر " يفكر .

عندما يكون هناك ضوء في الخارج يذهب وندش إلى بركة المطحنة . يركع في العشب . ينظر إلى وجهه في الماء . دوامات دائرية صغيرة تدوي في أذنه . شعره يعكس الصورة .

عند وندش ندبة بيضاء مقوَّسة تحت عينه .

القصبة منحنية . تنفتح وتنغلق بجانب يده . للقصبة حافة بنيّة .

الدمعة

خرجت أميلي إلى ساحة بيت الدباغ . خطت عبر العشب حاملةً الصندوق الصغير بيدها . تشمُّه . لمح وندش حاشية ثوب أميلي يترك ظلاً على العشب . بطتا ساقيها بيضاوان . شاهد وندش كيف ارتعشت شفتا

أميلي . كان الصندوق مربوط بخيط فضي . وقفت أميلي أمام المرآة ، تطلعت لقوامها . بحثت عن الخيط الفضي في المرآة وشدته بقوة . " الصندوق موضوع في قبعة الدباغ " قالت .

المنديل الورقي الأبيض احدث خشخشة في الصندوق . على الورقة البيضاء تنبسط دمعة زجاجية . هناك ثقب في هامتها . في الداخل ، في بطنها ، كان للدمعة أخدود . كان رودي قد كتب " الدمعة فارغة . املئيها بالماء . ويُفضَّل ماء المطر . "

لم تستطع أميلي ملأ الدمعة . كان الفصل صيفاً والقرية تحت سطوة الجفاف . والماء الذي في البئر لم يكن ماء المطر . رفعت أميلي الدمعة إلى الضوء قرب النافذة . في الخارج كان الأمرُ صعباً . ولكن في الداخل ، على طول الأخدود كانت الدمعة ترتعش .

لسبعة أيام كانت السماء تشعل نفسها حد الجفاف . كانت تلفّ الدرب حتى وصلت نهاية القرية . نظرت إلى النهر في أسفل الوادي .

السماء شربت ماءً فأمطرت من جديد .

فاض الماء أعلى حجر الرصيف في الساحة . وقفت أميلي عند القناة مع الدمعة . راقبت الماء وهو يجري في بطن الدمعة .

كانت ثمة ريح في ماء المطر أيضاً . كانت تسوق أجراساً زجاجية خلال الأشجار . كانت الأجراس كسولة . الأوراق دوّمت فيها . غنى المطر . ثمة رمل في صوت المطر أيضاً . ثمة رمل في لِحاء الشجر .

كانت الدمعة ممتلئة . حملتها أميلي إلى الغرفة بيديها النديتين وقدميها العاريتين المرمَّلتين .

أخذت زوجة وندش الدمعة بيدها . أشرق الماء فيها . كان هناك ضوء في الزجاج . انساب الماء من الدمعة بين أصابع زوجة وندش .

مدَّ وندش يده فأخذ الدمعة . انساب الماء خارج مرفقه . لعقت زوجة وندش أصابعها الندية بطرف لسانها . تابعها وندش بنظراته وهي تلعق الإصبع الذي سحبته من شعرها في الليلة الرعدية العاصفة . تطلَّع خارجاً إلى المطر . شعر بالوحل في فمه . كتلة القيء صعدت إلى حنجرته .

بسط وندش الدمعةَ في يد أميلي . انسابت الدمعة . الماءُ فيها لم يسقط . الماءُ مالح . " يحرق شفتيك " قالت زوجة وندش .

لعقت أميلي رسغها " المطر عذب " قالت . " تحقق بُكاء الملح بواسطة الدمعة " .

غرفة الميتة العلوية

" المدارس لا تُحدِث أي اختلاف أيضاً " قالت زوجة وندش . نظر وندش إلى أميلي وقال " رودي مهندس ، لكن المدارس لا تُحدث أي اختلاف أيضاً " . ضحكت أميلي " لا يعرف رودي أيضاً المصحّة من الخارج . كان سجيناً " قالت زوجة وندش . " ساعية البريد أخبرتني بذلك " .

سحب وندش قدحاً زجاجياً إليه ثم دفعه عبر المنضدة . نظر في القدح وقال " انه شيء متأصلٌ في العائلة ، عندهم أطفال ، وهم مجانين أيضاً ".

كانت جدّة رودي العظيمة تسمى في القرية (التراكتر) . لديها على الدوام جديلة رفيعة تتأرجح متدلية على ظهرها . لم تكن تحمل مشطاً . مات زوجها ولما يزل شاباً . مات دون أن يسقط بمرض .

بعد دفنه راحت التراكتر تبحث عن زوجها . ذهبت إلى الحانة تحدّق في وجوه الرجال هناك وجهاً فوجهاً . " لستَ أنت " قالت متنقلة من منضدة لأخرى . تقدَّم إليها صاحب الحانة وقال " ولكن زوجك ميت " . أمسكت بجديلتها الرفيعة واندفعت خارجة إلى الشارع تبكي .

وظلت التراكتر كل يوم تخرج ، باحثة عن زوجها . مرَّت على كل بيت ، متسائلةً ما إذا كان هناك .

احد أيام الشتاء وحيث الضباب يندفع أمواجاً بيض عبر القرية خرجت التراكتور إلى الحقول . كانت ترتدي ثوباً صيفياً وبلا جوارب . يداها فقط كانت مكسوَّتين . كانت تلبس قفازات صوفية سميكة . سارت خلال الأجمات العارية وكان الوقتُ أواخر ما بعد الظهر . شاهدها مراقبُ الغابة تولي ظهرَها للقرية .

في اليوم التالي جاء المراقب إلى القرية . كانت التراكتر متمددة على أجمة سوداء شائكة ومتجمدة حد الموت . حملها على كتفه إلى القرية ، متيبسة مثل لوح خشبي .

" تلك مَن لم تكن تشعر بالمسؤولية " قالت زوجة وندش " إذ تركت طفلاً بعمر ثلاثة أعوام وحيداً في هذا العالم " . الطفل ذو الثلاثة أعوام كان جدَّ رودي . وكان نجاراً لم يعر اهتماماً لحقوله . " تركَ الأشواك تنمو على تلك التربة الجيدة " قال وندش .

كل ما كان يفكر به جد رودي هو الخشب . صرفَ أمواله على الخشب " كان يصنع أشكالاً من الخشب " قالت زوجة وندش " حفر وجوهاً على كل ما يقع بيده من قطع خشبية . كانت وجوهاً بشعة بحق . "

" ثم جاء قرار مصادرة الملكية " قال وندش . كانت أميلي منشغلة بطلاء أظافرها بطلاء أحمر " ارتعب جميع المزارعين لذلك القرار . قدِمَ بعض الرجال من المدينة وراحوا يديرون المزارع . سجَّلوا أسماء الناس وقالوا " كل شخص لم يوقِّع سوف يُسجَن . كانت كافة الأبواب في الزقاق موصدةً " قال وندش . " الدباغ العجوز لم يغلق داره . تركها مواربة . وعندما جاء الرجال قال لهم أنا سعيد لمصادرتها . خذوا الأحصنة أيضاً " ، سأتخلص منها ."

خطفت زوجة وندش قارورة طلاء الأظافر من يد أميلي . " لا أحد آخر قال ذلك " قالت . نطَّ وريدٌ ازرق خلف أذنها جرّاء غضبها . " هل تصغين لما نقول ؟ " صرخت بها .

كان الدباغ العجوز قد حفر امرأة عارية على شجرة الزيزفون في الحديقة . وضعها في الساحة بمواجهة النافذة . بكت زوجته . أخذت الطفل ووضعته في سلة خوص . " أخذت الطفل وحاجات قليلة تقدر على حملها وانتقلت لتسكن في بيت فارغ يقع عند طرف القرية " قال وندش .

" في ذلك الحين كان في رأس الطفل ثقبٌ عميق تسببت به كل تلك الأخشاب " قالت زوجة وندش .

الطفل هو الدباغ . والطفل حالما استطاع المشي صار يومياً يذهب إلى الحقول . يقبض على السحالي والضفادع . وعندما كبر جعل يزحف إلى بُرج الكنيسة ليلاً فيأخذ البومات التي لم تكن تقدر على الطيران خارج أعشاشها . كان يحملها إلى البيت تحت قميصه ، ويروح يطعمها السحالي والضفادع . وعندما تكبر وتصبح بحجمها الطبيعي يقتلها ، ويجوّفها ، ثم يجففها ، ويحشوها .

" قبل الحرب " قال وندش " ربح الدباغ معزى في السوق الموسمية الزراعية التي أقيمت في القرية . سلخ المعزى وسط القرية وهي حيّة . هرب الجميع من رؤية المشهد فيما سقطت النساء مرضى " .

" ومنذ ذلك اليوم لم ينمُ العشب في البقعة التي تم فيها سلخ المعزى " قالت زوجة وندش .

اتكأ وندش على الدولاب . " لم يكن بطلاً بتاتاً " أطلق وندش تنهيدةً . " كان مجرد مشتري مواشي . لم نكن نقاتل سحالي وضفادع في الحرب " .

كانت أميلي تمشّط شعرها أمام المرآة .

" لم يكن أبداً في SS " قالت زوجة وندش " فقط في الجيش . وبعد الحرب شرع يصطاد البومات واللقالق والطيور السود ، ثم يحنِّطها . وكان يذبح الماشية المريضة والأرانب البرية في المقاطعة . ويدبغ الجلود . غرفتُه العلوية برمتها مليئةٌ بالجيَف " .

أتت أميلي على محتوى قارورة طلاء الأظافر الصغيرة جميعاً . شعر وندش بحبّات رمل من خلف جبهته . تحركت من صدغ لآخر . نقطة حمراء سقطت من القارورة الصغيرة على سماط المائدة ." أنت كنتِ عاهرة في روسيا " قالت أميلي تخاطب أمَّها وهي تنظر إلى اظفر إصبعها .

الحجر في الكلس

تحوم البومة بصورة دائرية فوق شجرة التفاح . ينظر وندش إلى القمر ويطالع في أي اتجاه ستتحرك القطة السوداء فيه . لم تغلق البومة طيرانها الدائري .

كان الدباغ أكمل تحنيط آخر بومة أتى بها من برج الكنيسة قبل عامين وقدَّمها هديةً إلى القس . " هذه البومة تعيش في قرية أخرى " يفكر وندش .

على الدوام تجد البومة المجهولة طريقها من هنا إلى القرية ليلاً . لا أحد يعرف أين تريح أجنحتها في النهار . لا أحد يعرف أين تغلق منقارها وتنام " .

يدرك وندش أن البومة يمكن أن تشم الطيور المحنطة في غرفة الدباغة العائدة للدباغ .

كان الدباغ قد أهدى الطيور المحنطة إلى متحف المدينة ولم يتلقَّ أي مالٍ مقابل ذلك . " . جاء رجلان ، وقفت سيارتهما أمام بيت الدباغ طيلة نهار كامل . كانت السيارة بيضاء ومغلقة كأنها غرفة .

قال الرجلان : " هذه الحيوانات المحنطة هي جزء من الحياة البرية لسكان غاباتنا . " . شحنوا الطيور في صناديق ، وهددوا بأقسى العقوبات . الدباغ قدم هداياه من الطيور المحنطة لهم مع جميع ما يملك من جلود أغنامه . عندها قالوا أن كل شيء على ما يرام .

تحركت السيارة البيضاء المغلقة خارجة من القرية ببطء كما لو كانت غرفة . ابتسمت زوجة الدباغ بخوف ولوَّحت لهم بيدها .

وندش جالس في الشرفة . فكّر : " الدباغ طبَّق أبعد مما فعلنا . إذ دفع من أجل المدينة " .

يسمع وندش حفيف ورقة شجر على الحجر في الممشى . يسمعها تخشخش وهي تصطدم بالحجر . الحائط طويل وأبيض . يغلق وندش عينيه . يشعر أن الحائط يكبر ويتعالى على وجهه . الكلس يحرق جبهته . الحجر في الكلس يفتح فمه . شجرة التفاح ترتعش . أوراقها آذان تصغي . شجرة التفاح تأكل تفاحها الأخضر .

شجرة التفاح

قبل الحرب انتصبت شجرة التفاح خلف الكنيسة . كانت شجرة التفاح التي أكلت ثمرها .
كان والد الحارس الليلي حارساً ليليّاً أيضاً . في ليلة صيف كان واقفاً خلف سياج معمول من خشب البقس .
أبصر شجرة التفاح تفتح فمها في طرف الجذع العلوي حيث الأغصان تتفرع . أكلت شجرةُ التفاحِ التفاحَ .
في الصباح لم ينم الحارس الليلي بل ذهب إلى عُمدة القرية . اخبره أن شجرة التفاح التي خلف الكنيسة أكلت تفاحها . ضحك العمدة . استطاع الحارس الليلي سماع خوف ما وراء الضحكة . مطارق صغيرة من مطارق الحياة كانت تدق في رأس العمدة . ذهب الحارس الليلي إلى بيته . اضطجع في الفراش دون أن يخلع ملابسه . شعر بالنوم فنام غارقاً في عرقه .
وفيما هو نائم حكّت شجرةُ التفاح الصدغ الطري للعمدة . احمرّت عيناه وجفَّ فمه .
بعد الغداء ضرب العمدة زوجته . لقد شاهد تفّاحاً يطفو في الحساء ، فابتلعه .
لم يستطع العمدة النوم بعد تناوله الوجبة . أغلق عينيه فسمع الشجرة تحك الجانب الآخر من الحائط . تدلّت خطوط النباح صفّاً فصفّا . تدلت بحبال وأكلت التفاح .
ذلك المساء دعا العمدة إلى اجتماع . احتشد الناس . شكَّل العمدة لجنة لمراقبة شجرة التفاح . انتسب إلى اللجنة أربعةُ قرويين أغنياء ، ومعهم القس ومعلمُ القرية والعمدةُ نفسه .
ألقى معلمُ القرية خطاباً سمّى فيه لجنة شجرة التفاح بـ" لجنة ليلة صيف " . رفض القس الصعود لمراقبة شجرة التفاح التي خلف الكنيسة . رسم علامة الصليب على صدره ثلاث مرات . سمح لنفسه أن يقول " قد يغفر الرب للخطّائين " . هدد بالتوجه إلى المدينة في صباح اليوم التالي وتقديم تقرير إلى الأسقف بحصول تجديف .
هبط الظلام متأخراً تلك الليلة . كانت الشمس ساخنة جداً بحيث بدا النهار كما لو انه لن ينتهي . تدفق الليل خارج الأرض وفوق القرية .
زحفت لجنة ليلة الصيف على حافة الأرض المزروعة بنبات البقس في الظلام .
تمددوا تحت شجرة التفاح وراحوا ينظرون إلى تشابكات أغصانها .
كان لدى العمدة فأساً ، والقرويون الأغنياء وضعوا مذاريهم في العشب بينما جلس معلم القرية تحت كيس بجانب فانوس العاصفة ومعه قلم ودفتر تمارين . شرع بعينٍ واحدة ينظر من خلال ثقب بحجم إبهام في الكيس ، ويدوِّن .
وصل الليل ذروته ، ضاغطاً السماء فوق القرية . كان الوقت يشير لمنتصف الليل . حدقت لجنة ليلة الصيف في السماء نصف الكئيبة . من تحت الكيس نظر المعلم إلى ساعة جيبه . كان نصف الليل قد مر . لم تدق ساعة الكنيسة لأن القس كان قد أوقفها . لم تكن أسنان عتلاتها تعلن ساعة الخطيئة . كان الصمت بمثابة تهمة توجه إلى القرية .

لم ينم احد من القرية . الكلاب وقفت في الشوارع دون نباح . القطط اتخذت من الأشجار مجلساً ، تنظر بعيون تشبه مصابيح متوهجة . الناس استكانوا في غرفهم . الأمهات حملن أطفالهن على ظهورهنَّ أو على صدورهنَّ بين الشموع . لم يُصدر الأطفال صراخاً .

جلس وندش تحت الجسر مع باريرا .

لاحظ المعلم انتصاف الليل في ساعة الجيب . رفع يده من أسفل الكيس ورسم إشارة إلى لجنة ليل الصيف .

لم تتحرك شجرة التفاح . عمل العمدة على تنقية حنجرته جراء الصمت الطويل . سعلَ احد القرويين الأغنياء سعال مدمني التدخين . سريعاً التقط قبضة عشب ؛ ملأ بها فمه سعياً لإخماد النوبة .

بانصراف ساعتين ما بعد منتصف الليل شرعت شجرة التفاح بالاهتزاز من هامتها . ومن حيث تتشعب الأغصان انفتح الفم ملتهماً التفاح .

سمعت لجنة ليلة الصيف الفمَ تصرُّ أسنانه . وخلف الحائط ، داخل الكنيسة كانت الجنادب تطلق صريراً .

أكل التفاحةَ السادسة . ركض العمدة نحو الشجرة . انهال على الفم بفأسه . رفع القرويون الأغنياء مذاريهم في الهواء ، منتصبين خلف العمدة .

قطعة من اللحاء – صفراء ورطبة – سقطت في العشب . أغلقت شجرة التفاح فمَها .

لا أحد من لجنة ليلة الصيف شاهد كيف ومتى أغلقت شجرة التفاح فمها .

زحف المعلم خارج كيسه . ولأنه معلم ينبغي عليه أن يشاهدها بنفسه ، قال العمدة

في الساعة الرابعة صباحاً توجّه القس إلى المحطة مرتدياً ثوب كهنوته الطويل ، تحت قبعته السوداء الكبيرة ، حاملاً حقيبته السوداء . خطا مسرعاً ، مطأطئاً وموجِّهاً نظره إلى الأرض . انتشر الفجر على جدران البيوت . طلاء الكلس الأبيض كان مضيئاً .

بعد ثلاثة أيام عاد القس إلى القرية . كانت الكنيسة ممتلئة ، فشاهده الناس يخطو بين المصاطب حتى أدرك المذبح . هناك ارتقى منبر الوعظ .

لم يؤدِّ الأسقف الصلاة . بل قال أنه قرأ تقرير المعلم وتشاور مع الرب . " كان الرب يعرف منذ زمن بعيد " صرخ " ذكَّرني الرب بآدم وحواء " قال القس بصوتٍ فيه وداعة " الرب أخبرني بأن الشيطان في شجرة التفاح " .

كان القس قد كتب رسالة إلى الأسقف . كتب الرسالة باللغة اللاتينية . قرأ الأسقف الرسالة من فوق منبر الوعظ . اللاتينية جعلت المنبر يبدو مرتفعاً جداً .

قال والد الحارس الليلي أنه لم يسمع صوت الأسقف .

عندما انتهى الأسقف من قراءة الرسالة أغلق عينيه ، وشبك يديه وصلَّى باللاتينية .

نزل من المنبر فبدا شخصاً ضئيلاً ، ووجهه متعباً . استدار ليكون بمواجهة المذبح " يجب أن لا نُهدَّ الشجرة . يجب أن نحرقها في مكان انتصابها ". قال .

الدباغ العجوز كان سيغدو سعيداً لشراء الشجرة من الأسقف ، لكن الأسقف قال " كلمة الرب مقدَّسة . القس يدرك ماذا يحصل . "

ذلك المساء جلب الرجال شاحنةً مليئة بالقش . أحاط القرويون الأغنياء الأربعة بعربة القش . وقف العمدة على سلَّمِها . نشر قشاً في تفرعات الأغصان .

وقف القس خلف شجرة التفاح يصلي بصوتٍ عال بينما وقف جوق منشدي الكنيسة على جانب حافة نبات البقس يرتلون أغاني طويلة . كان الجوُّ بارداً والنَفَس المنطلق مع الأغاني يشهق صوب السماء . النساء والأطفال يصلون بهدوء .

أشعل المعلم القش مع رقائق خشبية . اللهب أكل القش وراح يتسع . ابتلع اللهب عواء الشجرة . شققَّت النار الخشب . تاج الشجرة ارتفعت ناره نحو السماء . أخفى القمر نفسهُ .

نفث التفاح دخاناً إلى أعلى واحترق . العصير اصدر هسيساً وعوى في النار مثل لحم حي . الدخان بعث رائحة نتنة لسعت العيون . تكسّرت الأغاني بنوبات السعال .

ظلت القرية منتصبة في جوٍّ غائم حتى جاءت أولى زخات المطر . كتب المعلم في دفتر تمارينه مطلقاً على الجو الغائم " ضباب تفاح ".

الذراع الخشبي

لزمن طويل ظلَّ سنام الجزء الأسود المجدوع منتصباً خلف الكنيسة .

قال الناس إنَّ رجلاً كان يقف خلف الشجرة يشبه القس ولكن بدون قبعة .

كل صباح كان الندى يتساقط ؛ وحافة نبات البقس تنشر رذاذاً أبيض ، والجزء المجدوع كان أسودَ .

حافظ غرفة المقدسات في الكنيسة أخذ الورود الذابلة من المذابح وحملها إلى الخارج ، خلف الكنيسة . اجتاز الجذع المجدوع . كان الجزء المجدوع ذراع زوجته الخشبي .

الأوراق المتفحمة تدور مدوِّمة . لم تكن ثمَّة ريح . الأوراق لا وزن لها . ترتفع إلى ركبتيه ثم تسقط أمام قدميه . الأوراقُ تفتتت . الأوراق كانت سخاماً .

حافظُ غرفةِ المقدسات في الكنيسة اخذ الورودَ الذابلة من المذابح وحملها خارج الكنيسة . اجتاز الجذع المجدوع . كان الجذع المجدوع هو ذراع زوجته الخشبي .

رمادٌ بحجم قبضة الكف ينبسط على الأرض .

حافظ غرفة المقدسات وضع الرماد في صندوق . ذهب إلى طرف القرية . حفر بيديه حفرةً في الأرض . كان ثمة غصن معقوف أمام وجهه . كان ذراعاً من خشب خرج إليه .

دفن حافظ غرفة المقدسات الصندوقَ في الحفرة ثم خطا متخذاً درباً ترابياً بين الحقول . كان بمقدوره سماع الأشجار أينما ذهب . كانت الذُرة ذابلةً والأوراق متكسرة أينما ولّى وجهه .

شعر بكل الوحدة التي عاشها على مر الأعوام . كانت حياته شفافة ، وفارغة .

طارت غربان فوق حقل الذرة ، واستقرت على سيقان الذرة . غربان مصنوعة من فحم . كانت ثقيلة . جعلت سيقان الذرة تتأرجح . خفقت أجنحة الغربان .

عندما عاد حافظ غرفة مقدسات الكنيسة إلى القرية شعر بقلبه يتدلى عارياً ومتيبساً بين أضلاعه . الصندوق المليء بالرماد ينبسط بجانب الحافة .

الأغنيـة

خنازير الجيران المرقطة تشخر بصوتٍ عالٍ . يُسمَع شخيرُها في الغيوم ، يمرُّ من فوق البيوت . تُطوَّقُ الشرفة بشبكة من أوراق الشجر . لكلِّ ورقةٍ ظِل .

صوت رجلٍ يغنّي في الممر الجانبي من الشارع . الأغنية تطفو بين الأوراق ." القرية كبيرة جداً في الليل . يفكر وندش " ونهايتها في كل مكان " .

يعرف وندش الأغنية " مرةً سافرتُ إلى برلين . المدينة الجميلة تستحق التطلُّع إليها " تيري هولو لالا تتردد طوال الليل " عندما يكون الظلام حالكاً ، عندما يكون للأوراق ظلال تنمو الشرفة صاعدةً إلى أعلى . ترتفع الشرفةُ جاهدةً من تحت الصخر . ترتفع على دعامة . عندما ارتفعت عالياً جداً انكسرت الدعامة . سقطت الشرفةُ أرضاً . سقطت في الرقعةِ التي كانت فيها . وعندما قدِم النهار لم يكن أحدٌ قد لمح الشرفة تعلو وتسقط .

شعر وندش بالضغط يجري على الصخر . أمامه منضدة فارغة . انتصب أمامه رعب على المنضدة . انتصب الرعب بين أضلاع وندش . شعر وندش بالرعب معلقاً مثل صخرة في جيب سترته . طفت الأغنية ومرَّت عبر شجرة التفاح " ابعث ابنتك لي . ابعثها لأني راغب في معاشرتها الآن . تيري هاهو لالا طوال الليل "

يدفع وندش يداً باردة في جيب سترته . لا توجد حجارة في جيب سترته . الأغنية بين أصابعه . يواصل وندش غناءه بانتشاء " سيدي ، ذلك لن يحصل على الإطلاق . ابنتي العزيزة لن تُعاشَر . تيري هاهو لالا طوال الليل . "

الغيوم تحوم فوق القرية لأن قطيع الخنازير في الغيوم كبير جداً . الخنازير صامتة . الأغنية وحيدة في الليل " يا أمي العزيزة ، اسمحي لي رجاءً . لماذا إذاً لديَّ ثقب .. تيري هاهو لالا طوال الليل . ".

الطريق إلى البيت طويل . الرجل يمشي في الظلمة . الأغنية لا انتهاء لها ." آه ، يا أمي العزيزة . أقرضيني فرجَكِ ، ففرجي ضيّق جداً . تيري هاهو لالا طوال الليل . "

الأغنية بطيئة والصوت عميق . في الأغنية حجارة . ماء بارد يجري فوق الحجارة " أوه ، لا استطيع إقراضه لكِ لأن أباك يحتاجه بعد قليل . تيري هاهو لالا طوال الليل . "

يسحب وندش يده من جيب سترته . يفقد الحجارة . يخسر الأغنية .

" عندما تمشي " يفكر وندش " تكون أصابع أميلي وهي تضع قدميها على الأرض تؤشر إلى الخارج .

الحليب

عندما كانت أميلي بعمر السبعة أعوام أخذها رودي عبر حقل الذرة . سحبها إلى نهاية الحديقة " حقلُ الذرة غابة " قال . قاد رودي أميلي إلى مخزن الحبوب . قال : " المخزنُ قلعة . "

في المخزن ثمَّةَ برميل نبيذ فارغ . زحف رودي وأميلي إلى داخل البرميل . " البرميل هو سريرُكِ " قال رودي . وضع ثمار شائكة متيبسة على شعر أميلي " لديكِ تاجٌ من الشوك " قال . " أنتِ ساحرة . أُحبُّكِ . يجب أن تعاني ".

كانت جيوب رودي مليئة بقطع زجاج ملوَّن . رصفَ القطع حول حافة البرميل . التمعت القطع . جلست أميلي على أرضيّة البرميل . ركع رودي أمامها . رفع ثوبها . " أنا أشرب حليباً منكِ " قال رودي . مصَّ حلمَتي أميلي . أغلقت أميلي عينيها . قطع رودي الأزرار البُنّيّة الصغيرة .

حلمتا أميلي ابتُلِعَت . صرخت أميلي . ذهب رودي حتى نهاية الحديقة ، وفي الحقول . عادت أميلي راكضة إلى بيتها .

التصقت الأشواك بشعرها ، وتشابكت . قصَّت زوجة وندش العقد بمقصِّها . غسلت حلمتي أميلي بشاي البابونج " يجب أن لا تلعبي معه مرَّةً أخرى " قالت ." ابنُ الدباغ هذا ولدٌ مجنون . في رأسه ثقب عميق من جميع الحيوانات المحنطة ".

هزَّ وندش رأسه . " أميلي ستجلب لنا العار . " قال .

طير الصّفار الذهبي

كانت هناك تشقُّقات رمادية بين مصراعي النافذة . ارتفعت حرارة أميلي . لم يقدر وندش على النوم . كان يفكِّر بحلمتيها الممصوصتين .

جلست زوجة وندش على حافة السرير " مرَّ عليَّ حلمٌ " قالت . " صعدتُ إلى غرفة الدباغة فوق ، وفي يدي منخل الدقيق . على السلم الصاعد إلى غرفة الدباغة وجدتُ طيراً ميتاً . كان طير الصّفّار الذهبي . رفعت الطير من ساقيه رأيت كتلة من الشحم تحتها ذباب اسود طار على شكلِ سربٍ ، ثم استقر على المنخل . هززت المنخل في الهواء فلم يتحرك الذباب . بعدها اندفعتُ فاتحةً الباب وعدوتُ راكضة في الحوش . رميتُ المنخل والذباب العالق به على الثلج .

الساعة على الحائط

نوافذ الدَّبّاغ سقطت في الليل . رودي مستلقٍ على سترته ، نائم . الدباغ مضطجع على سترته مع زوجته . نائمان .

يشاهد وندش البقعة البيضاء للساعة على الحائط . . يشاهدها على المنضدة الخالية . طائر الوقواق يعيش في الساعة . الطائر يشعر أنه يد الساعة : الطائر يطلق تنبيهاً . الدباغ أعطى الساعة إلى رجل الميليشيا كهدية .

بعد أسبوعين عرض الدباغ على وندش رسالةً . كانت الرسالة من ميونخ . " صهري يعيش هناك ." قال الدباغ . بسط الرسالة على المنضدة . وبطرف إصبعه راح يبحث عن الأسطر التي يبغي قراءتها . " عليك أن تجلب أوانيك الفخارية وسكاكين المائدة . النظّاراتُ غالية هنا . سترةُ الفرو غالية جداً . " راح الدباغ يتصفح . يسمع وندش تنبيه طير وقواق الساعة . يمكنه شمَّ الطيور المحنطة من خلال السقف . طير وقواق الساعة هو الطائر الوحيد في البيت . صراخه يُهشم الوقت . الطيور المحنطة تُصدر نتانة .

آنذاك ضحك الدباغ . أشار إلى جملة في أسفل الرسالة " النساءُ هنا لا يُثمَّن بشيء " قرأ . " لا يستطعن الطبخ . ينبغي على زوجتي ذبح دجاج صاحبة الأرض . صاحبة الأرض ترفض أن تأكل الدم أو الكبد . ترمي المعدة والطحال . ماعدا ذلك تستمر تدخن طوال اليوم وتتقبَّل أي رجل يرغب بها . "

" أسوأُ امرأةٍ من السوابيَن* " قال الدباغ " ما تزال تُقيَّم على أنها أفضل بكثير من أحسن امرأة ألمانية من هناك . "

---

* السوابيَن : شعب جرماني قادم من بحر البلطيق (موسوعة وكيبيديا) .. المترجم

شجرة الغار

لم تدم صيحات البومة البومة فقد استقرت على السطح . " لا بدَّ أنَّ الأرملة كرونر ماتت " يفكر وندش .

في الصيف الفائت قلعت الأرملة كرونر أزهارَ الزيزفون من شجرة مصلِّح البراميل . تنتصب الشجرة على جانب اليد اليسرى من باحة الكنيسة . العشب ينمو هناك . النرجس يتورّد في العشب . في العشب تتواجد بركة ماء ، وحول البركة تتوزَّع قبورُ الرومانيين . قبور مستوية يسحبها الماء إلى ما تحت الأرض .

زيزفونة مُصلّح البراميل لها رائحة زكية . يقول الأسقف أن قبور الرومانيين لا تعود إلى باحة الكنيسة ، وأن رائحة قبور الرومانيين تختلف عن رائحة قبور الألمان .

اعتاد مصلح البراميل الذهاب من بيت لبيت . لديه كيس وعدد كبير من المطارق الصغيرة . يُصلح الكثير من البراميل فيُقايض جهده بالطعام ، ويُسمح له بالنوم في مخازن الغلال .

كانَ الوقتُ خريفاً . وبمقدور المرء رؤية برد الشتاء من خلال الغيوم . في احد الصباحات لم يستيقظ مصلح البراميل . لا احد يعرف مَن يكون ، ولا من أين جاء " رجل مثل ذلك في حركةٍ على الدوام " قال سكان القرية .

تدلَّت أغصان شجرة الليمون فوق القبر " لا تحتاج إلى سلَّم " قالت الأرملة كرونر " لا يحصل لك دوار " . أقعت على العشب وشرعت تقطف الزهور وتجمعها في سلّة .

طوال الشتاء كانت الأرملة كرونر تشرب شاي أزهار الزيزفون . أفرغت أكوابها في فمها . الأرملة كرونر مُدمنة على تناول الشاي . وكان الموت في الأكواب .

أشرق وجه الأرملة كرونر . قال الناس " شيءٌ ما أزهر في وجه الأرملة كرونر " . كان وجهُها فتيّاً . فتوتُها كانت ضعفَها .عندما يغدو المرء فتياً قبل موته يستحيل وجهُه هكذا . يتدرَّج فتوةً أكثر فأكثر حتى ينكسر الجسد . ما بعد الولادة .

كانت الأرملة كرونر دائما ما تغني نفس الأغنية " عند البئر قرب الباب تنتصب شجرة زيزفون " أضافت شعراً آخر للأغنية . غنت أشعار زهور الزيزفون .

عندما شربت الأرملة كرونر الشاي دون سكّر غدت الأشعار حزينة . تطلعت في المرآة حين كانت تغني . أبصرت زهور الزيزفون في وجهها . شعرت بالجروح على بطنها ، وعلى ساقيها .

التقطت الأرملة كرونر عود غار من الحقول . جعلته يغلي . مسحت جروحَها بالعصير البنّي اللون . كبر حجم الجروح ، وكبر . صارت تبعث روائح طيبة ، وطيبة .

قطعت الأرملة كرونر جميع عيدان الزيزفون من الحقول . سخّنت الكثير ، الكثير من عيدان الغار ، وصنعت شاياً أكثر ، وأكثر .

أزرار كُم القميص

كان رودي هو الألماني الوحيد العامل في معمل الزجاج . " هو الألماني الوحيد في كل المنطقة " قال الدباغ . " أول الأمر دُهش الرومانيون لمعرفة أن هناك ألمان ما زالوا على قيد الحياة بعد هتلر . " لا يزال ألمان ؟! " قال سكرتير المدير " لا يزال ألمان ، وحتى في رومانيا ؟! "

" إن لذلك فائدة " فكَّر الدباغ . " رودي يجني مالاً كثيراً في المصنع . له علاقات جيدة مع الرجل الذي ينتمي للبوليس السري . رجلٌ ضخمٌ أشقر ، بعينين زرقاوين ، كأنه ألماني . يقول رودي انه ذو مستوى ثقافي عالٍ ، يعرف أنواعاً مختلفة من الزجاج . أعطاه رودي دبّوس رباط زجاجي وأزرار كُم قميص مدفوع الحساب ." قال الدباغ . " ساعدَنا الرجلُ كثيراً في الحصول على الجواز " .

أعطى رودي للرجل كلَّ المقتنيات الزجاجية التي يحتفظ بها في الشقّة : قدور الزهر الزجاجية ، أمشاط ، كرسي هزّاز من الزجاج الأزرق ، أكواب زجاجية وصحون ، صور زجاجية ، مصباح زجاجي ليلي بغطاء مخروطي أحمر .

الآذان ، الشفاه ، العيون ، أصابع اليدين ، أصابع القدمين الزجاجية التي جلبها رودي إلى البيت بحقيبة سفر . بسطها على الأرض رتّبها بصفوف ودوائر ، وتفحَّصها .

المزهرية الكريستالية

أميلي معلمةُ أطفال الروضة في المدينة . تأتي إلى البيت كل سبت . تنتظرها زوجة وندش في المحطة . تساعدها في حمل الحقائب الثقيلة . كل سبت تجلب أميلي حقيبة طعام ، وحقيبة مليئة بالزجاجيات الكريستالية " زجاجيات كريستالية " تقول .

الدواليب مُلِئت بالزجاجيات الكريستالية . الزجاجيات مرتَّبة طِبقاً لألوانِها وأحجامِها . أقداح النبيذ الزرق ، أقداح الشناب * البيض . وعلى المنضدة طاسات زجاجية للفاكهة ، مزهريات وسلال زهور .

" هدايا من الاطفال ."تقول أميلي عندما يسألها وندش : " من أين حصلت على هذه الزجاجيات ؟ "

لفترة شهر ظلت اميلي تتحدث عن مزهرية الأرض الكرسيستالية . رسمت إشارة من الأرض حتى وركِها . " ذلك هو طولها " تقول أميلي " حمراء داكنة . على المزهرية راقصة بفستان ابيض مخرم " .

تفتح زوجة وندش عينيها على سعتهما عندما تسمع عن مزهرية الكريستال . كل سبت تقول " لن يفهم أبوك كم هي قيمة هذه المزهرية الكريستالية " .

" المزهرية العادية عادةً ما تكون ثمينة " يقول وندش. " الناس اليوم يحتاجون إلى مزهريات أرضية " .

تتحدث زوجة وندش عن المزهرية الكريستالية عندما تكون أميلي في المدينة . يشرق وجهها ابتساماً وكفّاها يصبحان ناعمين . ترفع أناملها في الهواء كما لو كانت تهمّ بصفع شخص ما . يعرف وندش أنها يمكن أن تفرج ساقيها من أجل مزهرية كريستال . يمكن أن تفرج ساقيها تماماً كما تضرب الهواء بواسطة أناملها برفق .

يصبح وندش صعب الاحتمال عندما تتحدث عن المزهرية الكريستالية . يفكر بالسنوات التي تلت الحرب " في روسيا افرجت ساقيها من أجل قطعة خبز " . قال الناس في القرية بعد الحرب . في ذلك الوقت فكر وندش : " إنها جميلة ، لكنَّ الجوع يؤلِم " .

- شناب (schnap) نوع من أنواع الخمر المحلي .

بين القبور

كان وندش قد عاد إلى القرية من معتقله كسجين حرب . كانت القرية غير عارفة بأعداد الموتى والجرحى الكثيرة .

ماتت باربرا في روسيا .

كاترينا عادت من روسيا . أرادت الزواج من جوزيف لكن جوزيف كان قد مات في الحرب . كان وجه كاترينا شاحباً . عيناها غارقتان في محجريهما .

مثل وندش شاهدت كاترينا الموت . مثل وندش جاهدت من أجل البقاء في الحياة . وسريعاً ارتبط بها وندش .

كان وندش قبّلها في سبته الأول في القرية الجريحة . ضغطها قبالة الشجرة . شعر بلدانة بطنها وبنهديها الدائريين . تمشّى معها في الحدائق .

القبور انتصبت بصفوف بيض . الباب الحديدية أصدرت صريراً . عبّرت كاترينا عن خوالجها فبكت . عرف وندش أنها كانت تبكي على جوزيف فأغلق الباب وبكى . عرفت كاترينا أنه يبكي على باربرا . جلست كاترينا على العشب خلف الكنيسة الصغيرة .انحنى عليها وندش . مسكت شعره وابتسمت . رفع تنورتها وفكَّ أزرار بنطلونه . ارتمى فوقها . تشبثت أصابعها بحزمة من الحشيش . وراحت تلهث .

رفع وندش وجهه من فوق شعرها فبانت لديه أحجار القبور مُشرقةً ، وكانت كاترينا ترتعش .

نهضت كاترينا فأنزلت تنورتها فوق ركبتيها بينما وقف وندش أمامها يحكم أزرار بنطلونه . كانت باحة الكنيسة واسعة. عرف وندش أنه لم يمت ، وانَّه في وطنه ، وبأنَّ بنطلونه هذا كان ينتظره هنا في القرية ، في خزانة الملابس ذلك انه حين كان في الحرب وكسجين لم يدرك أين كانت القرية ، وكم هي الفترة التي سيستمر فيها حيّاً .

تضع كاترينا ورقة حشيش في فمها . سحبها وندش من يدها " دعينا نخرج من هنا .. هيّا " قال.

الديكة

يدق ناقوس الكنيسة مرّاتٍ خمس . يشعر وندش بعقدٍ باردة في ساقيه . يدخل الباحة . قبعةُ الحارس الليلي تمرُّ من فوق السياج .

يتَّجه وندش إلى الباب الرئيسي . يحكم الحارس الليلي قبضته على عمود التلغراف محدِّثاً نفسه " أينها . أين ذهبت . أجمل الورود " يقول . يقعى الكلب على الأرض منشغلاً في أكلِ دودة .

يقول وندش " كونراد . " . ينظر الحارس الليلي إليه . " البومة تكمن خلف كومة القش في المرج " يقول ." الأرملة كرونر ميتة . ". يتثاءب . من فمه تنبعث رائحة شراب الشناب .

تطلق الديكة صيحاتها في القرية . صيحاتها مزعجة . الليل في مناقيرها . يثبِّت الحارس الليلي نفسه على السياج . يداه ملوثتان وأصابعه مقوَّسة .

علامة الموت

تقف زوجة وندش حافية القدمين على الأرضية الحجرية للممر . شعرها أشعث كأن ريحاً عاتية كانت تشيع في البيت . يشاهد وندش زغباً على بطتي ساقيها . يشاهد بشرة طرية على كاحليها .
يشم وندش رائحة قميص نومها فيحس بدفئه . عظمتا خديها صلبتان . إنهما ينتفضان . فمها ينفتح على سعته " في أي وقت تتصل به ؟ " صرخَت . " نظرتُ إلى الساعة في الثالثة ، والآن تدق معلنة الخامسة " . لوَّحت بيديها في الهواء . ينظر وندش لإصبعها . لم يكن موحلاً .
يهرش وندش ورقة تفاح يابسة بكفّه . يسمع صرخات زوجته في المجاز . تغلق الباب بعنف . تولولُ متجهةً إلى المطبخ . ملعقةٌ تقرقع على الموقد .
يقف وندش في باب المطبخ . ترفع زوجته الملعقة . " فاسقة " ، تصرخ. " سأخبر ابنتك بما تسعى أنتَ إليه " .
ثمّة فقاعات خضر فوق إبريق الشاي . فوق الفقاعات التي على وجهها . ينهض وندش ويتَّجه صوبَها فيلطمُها على وجهها . لم تنطُق بشيء . تحني رأسها وتروح تبكي . تضع إناء الشاي على المنضدة .
يجلس وندش أمام كوب الشاي . البخار يأكل وجهه . بخار النعناع يتدفق في المطبخ .. يرى وندش عينيه في الشاي . يسيل السكر من الملعقة في عينه . تنتصب الملعقة في الشاي .

يرتشف وندش شاياً . يملأ الملعقة ويقول " لقد ماتت الأرملة كرونر " . تنفخ زوجته في الكوب. لها عينان حمراوان صغيرتان . " الجرس يدق " تقول .
ثمة علامة حمراء على خدها . هي طبعةُ لطمة وندش . إنها علامة بخار آتية من الشاي . إنها علامة موت الأرملة كرونر .
يرن الجرس عبر الجدران . المصباح يرن . السقف يرن . يتنفس وندش بعمق . يجد نَفَسَه في قعر الكوب . " مَن يعرف ، متى وأين نموت " تقول زوجة وندش . تشدُّ شعرَ رأسِها . تصنعُ جديلةً طليقة . قطرة شاي تسيل إلى أسفل ذقنها . ضوء رمادي يهبط على الشوارع . نوافذ بيت الدباغ مُضاءة " سيجري المأتم بعد الظهر " يقول وندش .

الرسائل

يعتلي وندش دراجته متحركاً صوب الطاحونة . عجلتا الدراجة تصدران صريراً فوق العشب الرطب . من بين فخذيه يتابع وندش العجلتين وهما تدوران . الأسيجة تتدفق في المدى البعيد تحت المطر . الأشجار تقطر ماءً فيما الحدائق تُصدر خشخشةً .
نُصب ذكرى الحرب غارقٌ في لونٍ رمادي كئيب . للورود الصغيرة حافات بنية اللون .

ثقبُ القدر مليءٌ بالماء . الماء يغمر إطار الدراجة . الماء يَعلَق ببنطلون وندش . ديدان الأرض تتلوّى على الحجر المرصوف . إحدى نوافذِ بيت النجار مفتوحة . الفراش مُنتَج صناعياً مُغطّى بشرشف نسيجي أحمر . تجلس زوجة النجار وحيدة عند المنضدة . كومة من الفاصوليا الخضراء موضوعة على المنضدة .

لم يعُد غطاءُ تابوت الأرملة كرونر مسنوداً على الحائط . أمُّ النجار تبتسم في الصورة التي فوق السرير . ابتسامتُها ترسمُ خطّاً من موتِ الداليا البيضاء إلى موتِ الأرملة كرونر .

الأرضُ عاريةٌ . كان النجارُ قد باع البسُط الحمر . لديه الآن المقعد الخشبي الكبير فهو في انتظار الحصول على الجواز .

يتساقط المطر على ظهر وندش . كتفاه رطبان .

بعض الأحيان يتم استدعاء زوجة النجار من قبل الأسقف بسبب شهادة المعمودية . وبعض الأحيان يتم الاستدعاء من قبل رجل الميليشا لغرض إتمام معاملة الجواز .

اخبر الحارس الليلي وندش أن القس عنده سرير حديدي في غرفة حفظ المقدسات . على هذا السرير يبحث في أمر شهادة المعمودية مع النساء " . إن تجري الأمور كما ينبغي. " قال الحارس الليلي " ينظر في شهادة المعمودية خمس مرات . وإذا أتم المهمّة بصورة كاملة يبحث في ذلك عشر مرات . مع بعض العائلات يفقد رجل الميليشيا ويضيّع الطلبات وطوابع الريع سبع مرات . يبحث عنها مع النساء اللاتي يبغينَ الهجرة على الفراش في غرفة مخزن دائرة البريد " .

ضحك الحارس الليلي . " أما زوجتُك " خاطب وندش . " فامرأةٌ عجوز بنظرِهِ . سيترك زوجتَك كاثي في سلام . لكن بعد ذلك سيكون الدور على ابنتك . القس جعلها كاثوليكية ، ورجل الميليشيا جعلها بلا جلالة . ساعية البريد تعطي لرجل الميليشيا المفتاح عندما يحصل على شيء يريد أداءَه في غرفة المخزن ."

رفس وندش باب المطحنة بقدمه . " دعه يحاول . " قال . " قد يحصل على دقيق ، لكنه لن ينال من ابنتي ".

" ذلك ما يوضح عدم وصول رسائلنا " قال الحارس الليلي " تأخذ ساعية البريد المظاريف وتكلفة الطوابع من عندنا ثم تروح تشتري شراب الشناب بأجور الطوابع ، ثم تقرأ الرسائل وترمي بها إلى سلة المهملات . وفي حال لم يكن لدى رجل الميليشيا عمل يؤديه في غرفة المخزن فانه يجلس خلف المنضدة مع بائعة الطوابع ويروح يعبُّ الشناب لأنَّ بائعةَ الطوابع عجوزٌ لا تصلح للمضاجعة في الفراش .

ركلَ الحارسُ الليلي كلبه " ساعية البريد انتهت الآن من شرب مئات الرسائل ." قال . " وقرأت لرجل الميليشيا مئات الرسائل ".

أغلق وندش باب المطحنة بالمفتاح الكبير . يعدُّ عامين . يدير المفتاح الصغير في القفل . يعدُّ وندش الأيام . يخطو وندش نحو بركة المطحنة .

سطح البركة متعكِّر وعليه أمواج . شجرة الصفصاف مغطاة بالأوراق والريح . كومة القش تلقي بشواظها باستمرار في البركة . تدب الضفادع حول الكومة . تسحب بطونها البيضاء فوق العشب .

يجلس الحارس الليلي جوار البركة . عنده فواق وحنجرته تثب كالكرة خارج قميصه ." إنه البصل الأزرق " يقول " الروس يُقطِّعون شرائح خفيفة من رؤوس البصل ثم يرشّون الملحَ عليها . الملح يجعل البصل يتفتَّح كالورود . البصل ينضح ماءً صافياً ، ماءً لامعاً يشبه ماء الزنبق . الروس يضربونه بقبضاتهم . لقد شاهدت الروس يعصرون البصل بكواحلهم . النساء يرفعن تنوراتهن ويجثثن عليه . يدرن ركبهن . جنودنا كانوا يمسكون الروسيّات من أوراكِهنَّ ويساعدوهن على الدوران . ".

كانت للحارس الليلي عينان مائيتان . " لقد أكلتُ من تحت ركب النساء الروسيّات من ذلك البصل الذي كان حلواً وسهل المضغ مثل زبد ." يقول . خداه مترهلان وعيناه تلمعان فُتوَّةً كلمعان البصل .

يحمل وندش كيسين إلى حافة البركة ، يغطيهما بقطعة من قماش الجنفاص ، سيأخذهما الحارس الليلي إلى رجل الميليشيا في الليل .

القصبُ يهتز . . الزّبَد الأبيض يَعلق بأوراق النبات " ذلك ما يجب على الثوب المخرَّم للراقصة أن يكون " يفكر وندش " لم اترك المزهرية الكريستالية في بيتي " .

" هناك نساءٌ في كل مكان . هناك نساء حتى في البركة " يقول الحارس الليلي . وندش يرى ملابسهنَّ الداخلية بين القصب . يدخل إلى المطحنة .

الذبابة

تتمدد الأرملة كرونر في التابوت بملابس سود . كفّاها منطبقان ومشدودان بخيط نسيجي أبيض حتى لا ينزلقا من فوق بطنها ، حتى يصلّيا عندما ترتفع صاعدةً إلى باب السماء .

" إنّها جميلة جداً ، تبدو كما لو كانت نائمة " قالت جارتها (ولِما) النحيفة . حطَّت ذبابة على يدها . حرّكت ولِما النحيفة إصبعَها . استقرت الذبابة على كفٍّ صغيرة جوارها .

تهزُّ زوجة وندش قبَّعتها لتنفض عنها قطرات المطر فتسقط القطرات على السلاسل الشفافة التي في حذائها . المظلات تنتصب إلى جانب النساء المُصلّيات . أفاعي الماء وخيوط مائية تتسرب تحت الكراسي ، تتلألأ بين الأحذية .

جلست زوجة وندش على كرسي فارغ بجانب الباب . تبكي وتسكب دموعاً ثقيلة من عينيها . تحطُّ الذبابة على خدِّها . تتدحرج الدمعة هابطة حتى تصل الذبابة . تطير الذبابة في الغرفة . حافةُ جناحِها رطبةٌ . تعود الذبابة فتحطُّ على زوجة وندش ، على سبابتها المتجعدة .

تصلي زوجة وندش وتنظر إلى الذبابة . تدبُّ الذبابة على اظفر إصبعها ، تدغدغ بشرتها . " إنها الذبابة التي كانت تحت طير الصفّار . الذبابة التي استقرَّت في منخل الدقيق ." تفكر زوجة وندش .

تجد زوجةُ وندش طريقاً للمرور وسط الصلاة . تتنهَّد وهي في الطريق ، تتنهَّد ويداها تؤديان مراسيم الصلاة ، وتحس الذبابة على اظفر إصبعها بالتنهّد . تطيرُ من أمامِ خدِّها داخل الغرفة .

شفتا زوجة وندش تهمهمان بهدوء ، تصليان لأجلنا .

تطير الذبابة بجوار السقف تماما . تهمهم بترتيلةٍ طويلة لأجل يقظة الموت . ترتيلة ماء المطر . ترتيلة الأرض كقبر .

أجبرت زوجة وندش نفسها على إطلاق دمعتين صغيرتين إضافيتين وهي تهمهم . تركتهما تسيلان على خدِّها . تركتهما تزدادان ملوحةً حول فمِها .

تبحث ولِما النحيفة عن منديلها ، فتراه بين الأحذية ، بين الجداول التي تزحف خارج المظلات السود .

تجد ولما النحيفة مسبحةً بين الأحذية . وجهها بارز وصغير ." لمن هذه المسبحة ؟ تتساءل ، فلا أحد ينظر إليها . الكلُّ صامتٌ " مَن يعرف ؟ " تقول وهي تتنهد " كان العديد منها هنا." .

دسَّت المسبحة في جيب تنورتها السوداء الطويلة . تحطُّ الذبابة على خدِّ الأرملة كرونر . شيءٌ حي فوق بشرتها الميتة . تطنُّ الذبابة في الزاوية الساكنة من فمها . ترقصُ الذبابة على ذقنها الصلب .

صوت المطر يتناهى من خارج النافذة . ترمشُ متقدِّمة المصليات بأهدابها القصيرة كما لو أنَّ المطر يركض على وجهها . كما لو أن المطر يغسل عينيها ، أهدابها التي تتكسر بفعل الصلاة . " هدير الغيوم فوق البلاد برمتها " تقول . تغلق فمَها حتى وهي تتكلم ، كما لو أن المطر كان يركض هابطاً في حنجرتها .
ولِما النحيفة تنظر إلى المرأة الميتة ، وتقول " فقط في بانات* طقسنا يأتي من النمسا وليس من بوخارست " .
الماء يجري بطيئاً في الشوارع . زوجة وندش تنفث من منخريها دمعةً صغيرةً سابقةً . " الشيوخ يقولون أنَّ كلَّ شخصٍ تمطر السماءُ ويتسللُّ المطرُ إلى تابوته هو شخصٌ صالح " تقول للغرفة .
ثمَّةَ حزمٌ من الكوبية ** فوق تابوت الأرملة كرونر ، بنفسجيّة وثقيلة وذابلة . الموتُ يأخذ الجلد والعظام التي تكمن في التابوت . وتأخذهم صلاةُ المطر .

---

* بانات Banat محافظة هنغارية سابقة تحت حكم هابسبيرغ الملكي . قُسمت بعد الحرب العالمية الأولى بين رومانيا ويوغسلافيا .

**Hydrangea الكوبية : نبتة بنفسجية اللون تستخدم للتزيين . ثمارها تشبه كوب الماء . (قاموس المورد)

تدبُّ الذبابة في برعم الكوبية عديمة الرائحة .
يأتي القس عبر الباب . خطواته ثقيلة كما لو أنَّ جسده مليءٌ بالماء . يناول القس المِظلّة السوداء إلى صبي المذبح ويقول " يباركك المسيح عيسى " . تهمهمُ النساء ، وتطنُّ الذبابة .
يدخل النجار إلى الغرفة حاملاً غطاء التابوت . ورقةُ الكوبية ترتعش . نصفُها بنفسجي ونصفٌ ميت . تسقط على أيدي المصلية المربوطة بالخيط الأبيض . يضع النجار الغطاء على التابوت ويحكم إغلاقه ثم يروح يسمرّه بمسامير سود وضربات مطرقة قصيرة .
عربة الموتى تومض . الحصان يطالع الأشجار . قائد العربة يضع البطانية الرمادية على الحصان " سيصاب الحصان بالبرد " يقول للنجار .
صبي المذبح يرفع المظلة الكبيرة فوق رأس القس . لا ساقان لدى القس . حاشيةُ ردائه تحفُّ بوحلِ الطريق . يشعر وندش بالماء يُقرقِر في حذائه . هو يعرف المسمار في غرفة ملابس الكهنة . يعرف المسمار الطويل يتدلى منه رداء الكاهن . يخطو النجار بخطوة قصيرة . وندش يراقب خيطي حذائه الغاطسين في الماء .
" الرداءُ الأسود شاهدَ الكثير قبل الآن ." يفكر وندش " شاهد القسَّ يبحث عن شهادة المعمدانية مع النساء فوق السرير الحديدي " . يسأل النجار عن بعض الأشياء ، يسمع وندش صوته لكنه لا يفهم ما يقوله النجار . يسمع صوت الكلارنيت والطبل الكبير خلفه .
المطرُ يشكِّل هدباً في حافة قبعة الحارس الليلي . الكفنُ يخفقُ في عربة الموتى ، والكوبيّة المُحدبة تهتز في ثقوب القدر . تنثر الأوراق في الوحل . يتلألأ الوحل تحت العجلات . تستدير عربة الموتى في بركة الزجاج . الموسيقى باردة . الطبلُ الكبير يبدو فاتراً ورطباً . تنحدر سطوح بيوت القرية باتجاه الماء . المقبرة تتوهجُ بصلبان بيض . يتدلّى الجرس فوقَ القرية مع تأتأة لسانه . يبصر وندش قبعتَه في بركةِ الماء " البركة ستكبر " يفكر .
" المطر سيغرق أكياس رجل الميليشيا في الماء " .

يوجد مطر في القبر . الماءُ اصفر مثل الشاي . بمقدور الأرملة كرونر أن تشرب الآن " تهمس وِلما النحيفة .

يخطو متقدِّم الصلاة فوق " المرغريتا* الممتدة في المجاز الذي بين القبور . يمسك صبي المذبح المظلة بزاوية منحرفة . البخور ينسحب إلى باطن الأرض .

---

* المرغريتا : نوع من النباتات .

يقطِّر القس طيناً بحجمِ الكف فوق التابوت " أيتها الأرض خذي ما هو واهٍ . الله يأخذ ما هو له ." يقول .

يرفع صبيُّ المذبحِ صوتَه بكلمة " آمين " رطبةً وطويلة . بإمكان وندش مشاهدة أسنانه الخلفية .

يأكلُ الماء الكفن . الحارس الليلي يمسك قبعته بموازاة صدره . يعصر حافتها بيده . تتجعَّد القبّعة ، تلتف مثل وردةٍ سوداء .

يغلق القس كتاب الصلاة " سنلتقي مرة أخرى في الطرف الآخر " يقول .

حفارُ القبرِ روماني . يمسك المجرفة عند مستوى بطنه . يرسم علامة الصليب على كتفيه . يبصق في كفّيه ثم يروح يحفر . الجوق يعزف أغنية جنائزية فاترة . الأغنية لا نهاية لها . غلام الخياط ينفخ ببوقه الفرنسي . عنده بقع بيضاء على أصابعه الزرق . ينزلق في الأغنية . البوق الأصفر الكبير قرب إذنه . يلمع مثل بوق الغرامافون . تتفجَّر الأغنية الجنائزية كما تهبط خارج البوق .

يهدر الطبل الكبير . وتتدلى حنجرة قائد المصلين بين نهايات قبعته . القبر يمتلئ بالتراب .

يغلق وندش عينيه ، يتألمان من الصلبان المرمرية البيض والرطبة . يتألمان من المطر .

تخرج وِلما النحيفة من باب الكنيسة الرئيسي. الكوبية تتمدد متكسرة فوق قبر الأرملة كرونر . يقف النجار عند قبر أمه ويشرع بالبكاء .

تقف زوجة وندش فوق المرغريتا ." دعنا نذهب " تقول . يخطو وندش إلى جانبها تحت المظلة السوداء . المظلة قبعة سوداء كبيرة . زوجة وندش تحمل القبعة على عصا .

يقف حفار القبر حافي القدمين ووحيداً في باحة الكنيسة . ينظف حذاءه المطاطي بالمجرفة .

الملك نائم

قبل الحرب توقف أفراد الفرقة الموسيقية العائدة للقرية بأزيائهم الرسمية الحمر الغامقة عند محطة القطار . جملون المحطة زُيِّن بأكاليل الزنابق المخططة وزهور الصين النجمية ونبتات الأكاسيا* الخضر. الناس لبسوا ملابس الأحد في حين لبس الأطفال جوارب بيض أدنى الركب ، رافعين باقات ورود ثقيلة أمام وجوههم .

لحظة أطلق القطار المتوقف في المحطة صوتاً بخارياً عزفت الفرقة الموسيقى على إيقاع المارش العسكري . صفَّق الناس واندفع الصغار يرمون الزهور في الهواء .

تحرك القطار ببطء . لوَّحَ شاب بذراعه الطويل خارج النافذة .
أشَّر بأصابعه ، صائحاً : " سكوت . جلالة الملك نائم ."
عندما غادر القطار المحطة اقترب قطيع من العنزات البيض قادم من المرج القريب . دخل رصيف المحطة فأكل باقات الورد . عاد الموسيقيون أدراجهم نحو بيوتهم بموسيقى عسكرية متقطعة . عاد الرجال والنساء إلى بيوتهم وهم يلوِّحون بتلويحات متقطعة . عاد الأطفال إلى بيوتهم بأكفٍّ فارغة .
البنت الصغيرة التي كان منوط بها إلقاء قصيدة عن الملك ما أن انتهى عزف موسيقى المارش ، وما أن انتهى التصفيق حتى جلست في غرفة الانتظار تبكي إلى أن أجهزت العنزات على جميع باقات الورد .

---

* الأكاسيا : شجرة السنط أو الصمغ العربي (قاموس المورد)

بيتٌ كبير

تمسح امرأة التنظيف الغبار من الأدراج . على خدها علامة سوداء . تجهش بالبكاء : " لقد ضربني مرةً أخرى . " تقول .
خطّافات تعليق الملابس على حيطان الممر تلمع . ثمَّةَ إكليل نباتي شائك . الأخفاف صغيرة وبالية تُرى تحت الخطافات .
كل طفل جلب نقالةً من بيته إلى روضة الأطفال . لصقت أميلي الصورة الصغيرة تحت الخطّافات .
صباح كل يوم ، كل طفل يبحث عن سيّارته ، كلبه ، دميته ، زهرته ، كرته .
يدخل أودو من الباب باحثاً عن علَمِهِ المتشكِّل من أسود وأحمر وذهبي . علمٌ ألماني . يعلِّق أودو سترته في الخطاف أعلى العلم . يخلع حذاءه ويلبس خفّيه الحمراوين . يضع حذاءه تحت سترته . تشتغل أم أودو في معمل صناعة الحلويات . كل ثلاثاء تجلب لأميلي سكراً وزبدة وكاكاو وحلوى ،" سيؤتى بأودو إلى دار الحضانة فقط لثلاثة أسابيع أخرى ." قالت لأميلي البارحة . " لقد أُعلمنا عن موضوع جواز سفرنا ."
تدفع طبيبةُ الأسنان ابنتَها عبر الباب نصف المفتوحة . قلنسوة بيضاء تلتصق بشعر البنت تشبه رُقاقةَ ثلج . تبحث البنت عن كلبِها بين الخطّافات . تسلِّم طبيبة الأسنان أميلي باقة قرنفل وصندوقاً صغيراً ." آنكا محمومة . " تقول ،" رجاءً أعطِها أقراص الدواء في الساعة العاشرة . " .
تنفض عاملة التنظيف المنفضة خارج النافذة . الأكاسيا صفراء . الرجل العجوز يكنس الرصيف أمام بيته كعادةٍ يؤدّيها صبيحة كل يوم . وريقات الاكاسيا يدفع بها الريح .
الأطفال يرتدون بدلات الصقور الرسمية . بلوزات صفراء وبناطيل زرقاء داكنة وتنّورات بثنيات عديدة . " إنها الأربعاء ." تفكِّر أميلي " يوم الصقور. " .
آجرات البناء تدق . الرافعات ترن . الهنود يتقدَّمون في أعمدة أمام أيدٍ صغيرة . أودو يبني مصنعاً . الدمى تشرب حليباً من أصابع بنات صغيرات .
جبهة آنكا ساخنة .
النشيد يمكن سماعه خلال سقف قاعة الدرس . المجموعة الكبيرة تغني على الأرض فوق .

تستند آجرات البناء احدها على الأخرى . الرافعات صامتة . يقف عمود الهنود عند حافة المنضدة . لا سطح للمصنع . الدمية ذات الفستان الحريري الطويل تستند على الكرسي . نائمة ولها وجهٌ وردي .

يقف الأطفال في نصف دائرة أمام منضدة المعلمة . يضغطون بإبهام أيديهم على أفخاذهم . يرفعون ذقونهم . تتَّسع عيونهم وتتندّى . ينطلقون مغنين بأصوات عالية .

الأولاد والبنات جنود صغار . النشيد بسبعة مقاطع شعرية .

تعلّق أميلي خارطة رومانيا على الحائط .

" جميع الأطفال يعيشون في شقق وبيوت متراصة ." تقول أميلي " كلُّ بيتٌ له غرفٌ . جميع البيوت مجتمعة تمثِّل بيتاً كبيراً واحداً . البيت الكبير هو وطننا . أرض أجدادنا ."

تؤشِّر أميلي على الخارطة ." هذا وطن الأجداد . " تقول . تروح بطرف إصبعها تبحث عن النقاط السود على الخارطة . " هذه مدن ارض الأجداد . تقول أميلي ." المدن هي الغرف لهذا البيت الكبير ، وطننا . عاشَ آباؤنا وأمهاتنا في بيوتنا . أنهم والدِينا . كل طفل له أبوان . ومثلما الأب في البيت الذي نسكن فيه هو أبونا فإنَّ الرفيق نيكولاي شاوشيسكو هو الأب لشعبنا . وتماماً مثل إلام في البيت الذي نسكن فيه هي أمُنا فإنَّ الرفيقة ألينا شاوشيسكو هي الأم لشعبنا . الرفيق نيكولاي شاوشيسكو هو الأب لجميع الأطفال . والرفيقة ألينا شاوشيسكو هي الأم لجميع الأطفال . جميع الأطفال يحبون الرفيق نيكولاي والرفيقة ألينا لأنهما والدِيهم ."

تترك المرأة المنظِّفة سلةَ مهملات فارغة عند الباب . " بلادنا تُسمى " جمهورية رومانيا الاشتراكية .". تقول أميلي . " الرفيق نيكولاي شاوشسكو السكرتير العام لبلادنا ، جمهورية رومانيا الاشتراكية ." .

يقف احدُ الأولاد منتصباً . " أبي يملك كرة أرضية في البيت . " يقول . يشكِّل بإشارةٍ من يديه كرةً أرضية . فتضرب إحدى يديه مزهرية . " تنبسط ورودُ القرنفل في الماء . يتبللُّ قميصُه الذي يحمل علامةَ الصقر .

شظايا من الزجاج المتكسِّر تسقط على المنضدة التي أمامه . الولد يبكي . تدفع أميلي المنضدة الصغيرة بعيداً عنه. عليها أن لا تصرخ به . والد كلوديا هو مدير محل القصابة في السوق .

تُرخي أنكا وجهها على المنضدة " متى يمكننا العودة إلى البيت ؟ " تتساءل باللغة الرومانية . اللغة الألمانية ثقيلة فلم تستفهم بها . أودو يبني سطحاً . " أبي هو السكرتير العام لبيتنا . " يقول .

تنظر أميلي إلى الأوراق الصفراء لشجرة الاكاسيا . يتكىء الرجل العجوز خارج النافذة المفتوحة كما هو شأنه يومياً .

" ديتمار سيشتري تذاكر السينما . " أميلي تفكر .

يزحف الهنود عبر الأرضية .. تبلع أنكا الحبوب .

تتكىء أميلي على إطار النافذة . " هل يعرف أحدكم قصيدة ؟" تسأل .

" أنا اعرف أرضاً تشكِّل قوساً من الجبال ،/ باكراً يتوهج الصباحُ على قممِها ، / يتموَّج في غاباتها مثل تموّجات المحيط ،/ ريحُ الربيع تزأر حتى يزهر الجميع . "

يتكلم كلوديو الألمانية بطلاقة . يرفع ذقنه . كلوديو وينطق الالمانية بصوت شخص بالغ الرشد ، منكمش .

اللَّي*

تعصر البنت الغجرية الصغيرة التي تنتمي للقرية المجاورة مئزرها ذا اللون الأخضر الحشيشي . الماء ينساب من يدها . تتدلى ضفيرتها على كتفها من منتصف رأسها . شريطٌ أحمر مجدول يتخلل شعرها ويبرز في النهاية مثل لسان .

تقف البنت الغجرية الصغيرة حافية القدمين بأصابع موحلة أمام سائقي الجرّارات .

سائقو الجرارات يعتمرون قبعات صغيرة وندية . أيديهم المسودّة على المنضدة . " أرني .. " يقول احدهم . " سأعطيك عشرة لَي " يضع عشرة لَي على المنضدة . يضحك سائقو الجرارات وتبرق عيونهم . وجوهُهم حمرٌ . بريق عيونهم تتوجَّه إلى تنورتها الطويلة المليئة بالزهور . ترفع الغجرية تنورتها . يُفرغ سائق التراكتور قدحَه . تأخذ البنت الغجرية الورقة النقدية من المنضدة . تلف ضفيرتها حول إصبعها وتضحك .

بإمكان وندش شمّ رائحة الشناب ورائحة عرق من المنضدة المجاورة . " إنهم يرتدون جلود الأغنام طوال فصل الصيف " يقول النجار . رغوةٌ من البيرةِ تلتصق بإبهامهم . يغمس سبابته في القدح . " الخنزير القذر الذي بجانبنا ينفخ رماداً في بيرتي " يقول . ينظر إلى الروماني الجالس خلفه . يضع الروماني سيجارة في زاوية فمه . سيجارةٌ رطبة بفعل اللعاب . يضحك . " لا يوجد ألمان بعد " يقول . ثم بالرومانية : " هذه رومانيا " للنجار نظرةٌ جشعة . يرفع قدحَه ويُفرغُه . " ستتخلصون منّا قريباً " يصرخ . يومىء إلى صاحب الحانة الذي يقف عند منضدة سائق التراكتور " قدح بيرة آخر " يطلب منه .

يمسح النجارُ فمَه بظهرِ كفِّه ، يسأل وندش " هل كنت مع الحدائقي ؟ " " كلا " يقول وندش . " هل تعرف أين يعيش ؟ " . النجار يسأل . يطأطىء وندش رأسه ويجيب " في طرف المدينة " . " في فراتيليا ، في شارع اليسكو ؟ " يقول النجار.

تسحب البنت الغجرية الصغيرة لسان ضفيرتها الأحمر. تضحك وتدور حول نفسها . يشاهد وندش بطتي ساقيها ."كم السعر ؟ " يسأل . " خمس عشرة ألف لكل واحد " يقول النجار . يأخذ قدح البيرة من يد صاحب الحانة " . بناية بطابق واحد . المشاتل الخضر على اليسار . إذا كانت السيارة الحمراء في الفناء ستكون مفتوحة . سيكون هناك شخص يقطع الخشب في الساحة . سيقودكِ إلى داخل البيت " يقول النجار . " لا تضربي الجرس . إذا ضربتِ الجرس فان قاطع الخشب سيختفي . لن يفتح الباب بعد ذلك . "

الواقفون في زاوية الحانة من النساء والرجال يشربون من قارورة . رجل يعتمر قبّعةً مَخمليّةً معصورةً يمسك طفلا بيده . يشاهد وندش النعلين الصغيرين العاريين اللذين يلبسهما الطفل . يدنو الطفل من القارورة يفتح فمه فيدفع الرجل عنقها إلى فمه . يغلق الطفل عينيه ويشرب . " سكّير " يقول الرجل . يسحب الزجاجة ويضحك . المرأة التي بجانبه تقضم قشرة خبز . تمضغ وتشرب . لبّة الخبز تطفو في القارورة .

" ينتنون من زريبة الخنازير " يقول النجار . شعرة بنية اللون تتدلى من إصبعه .

" إنها من اللبن " يقول وندش .

النساء تغني . الطفل يترنح ويخطو تجاههن . يشد تنانيرهن .

" اليوم هو يوم الدفع . يشربون لثلاثة أيام ، وبعدها لن يتركوا شيئاً " يقول وندش .

بائعة الحليب ذات الوشاح الأزرق تسكن خلف المطحنة." يقول وندش

ترفع البنت الغجرية الصغيرة تنورتها . يقف حفار القبر بجانب مجرفته . يمد يده إلى جيبه ويعطيها عشرة لّي .

بائعة الحليب بوشاحها الأزرق تغني وتتقيأ أمام الجدار .

- اللّي : عملة رومانية

إطلاق النار

مطوية أكمام المديرة . المديرة منشغلة في أكل تفاحة . ساعة يدها المستعملة ترتعش. والساعة تشير إلى ما بعد الخامسة . الترام يطلق نفيرا .

طفل يدفع أميلي على حقيبة سفر امرأة عجوز . تسرع أميلي .

يجلس ديتمار في مدخل محطة الحافلات . فمه يدفع هواء ساخنا على خد أميلي . " لدينا وقت كافٍ " يقول " التذاكر لرحلة الساعة السابعة . تذاكر رحلة الساعة الخامسة نفذت . "

المصطبة باردة . رجال قصار يحملون سلالاً مصنوعة من العيدان مليئة بأوراق جافة متداخلة مع الحشيش .

لسان ديتمار ساخن يحرق أذن أميلي . تغمض أميلي عينيها . نَفَس ديتمار اكبر في رأسها من الأشجار . يده باردة تحت بلوزتها .

يغلق ديتمار فمه " لقد تلقيت أوراق دعوة الالتحاق بالجيش " . " أبي جلب حقيبتي "

تبعد أميلي فمهُ عن أذنها . تضغط يدها على فمه " لندخل إلى البهو . اشعر بالبرد " تقول .

تتكىء أميلي على ديتمار . تشعر بخطواته . تختبئ أسفل سترته كما لو أنها جزء منه .

هناك قطّة نائمة في نافذة الدكان . ينقر ديتمار على الزجاج " ما زال عليَّ أن اشتري بعض الجواريب الصوفية " يقول . تمضغ أميلي قطعة رغيف . ينفث ديتمار غيمةً من الدخان بوجه أميلي " تعال ، سأريكَ مزهريتي الكريستالية " تقول له .

يرفع الراقصُ ذراعَها من فوق رأسها . الفستان الأبيض مشدود خلف زجاج النافذة .

يفتح ديتمار باباً خشبية من جانب الدكان ، وما خلف الباب يوجد ممرٌّ مُعتم . الظلام يشمُّ رائحة بصل متعفن . ثلاثة من حاويات القمامة المتهرئة تنتصب كصفائح كبيرة مصفوفة عند الحائط .

يدفع ديتمار أميلي على حاوية القمامة . الغطاء يُصدر صوتَ قعقعة . تشعر أميلي بضغط عضو ديتمار على بطنها . تتمسك بكتفيه بقوة . طفل يتحدث في الفناء الداخلي .

يزرر ديتمار بنطلونه . تنطلق موسيقى خارج النافذة الصغيرة خلف الساحة .

تلمح أميلي حذاءَ ديتمار يتحرك في الطابور .

يدٌ تقطع التذكرة إلى نصفين . حاجبةُ المحكمة ترتدي قبعةً سوداء وثوب أسود . تُطفىء مصباحها . تتهاوى سيقان الذرة من خارج رقبة الحاصودة الطويلة خلف الجرّار . القصيرة منها انتهى عملُها .

يسترخي رأس ديتمار على كتف أميلي . تظهر رسائل حمر على الشاشة " قراصنة القرن العشرين " . تضع أميلي يدها على ركبة ديتمار . " فلم روسي آخر " تهمس . يرفع ديتمار رأسه . " على الأقل ملوَّن " . يهمس في أذنها .

تترقرق المياه الخضراء . تمتد غابات خضراء على امتداد الساحل . ظهرُ السفينة واسعٌ . امرأة جميلة تتشبث بسياج الباخرة . شعرها يتطاير مثل أوراق الشجر . يعصر ديتمار أصبع أميلي بيده ، يتطلَّع إلى الشاشة .

تتكلم المرأة الجميلة .

" لن يرى أحدنا الآخر مرة أخرى " يقول . " لقد التحقتُ بالجيش ، وانتم ستهاجرون " . تطالع أميلي خد ديتمار . تتحرك . تتكلَّم . يقول ديتمار : " لقد سمعت أن رودي ينتظرك." .

في الشاشة يدٌ ما تنفتح . تصل إلى جيبِ سترةٍ . في الشاشة إبهامٌ وسبابة ، بينهما مسدس .

يتحدث ديتمار . وما وراء صوتِه تسمع أميلي إطلاقَ النار .

الماء ليس له سلام

" البومة جريحة " يقول الحارس الليلي . " غيمة متفجرة في يوم مأتم تعتبر كبيرة جداً حتى على بومة . إن لم تشاهد القمر هذه الليلة فإنها لن تطير مرةً ثانية . وإن تمُت سيصبح للماء رائحة نتنة ."

" ليس للبومات سلام ، والماء ليس له سلام . " يقول وندش . " وإن تمُت ستأتي بومة أخرى إلى القرية . بومة فتية غبية لا تعرف أي شيء . ستحط على أي سطح " .

يرفع الحارس الليلي نظره إلى القمر . " ثم سيموت شباب ثانيةً " يقول . يرى وندش أن الهواء الذي أمامه يعود للحارس الليلي . صوته يقدم جملة متعبة " ثم ستكون ثانيةً مثل الحرب . "

" الضفادع تطلق نقيقاً في المطحنة . " يقول الحارس الليلي .

ضفادع تجعل الكلب يجن .

الديك الأعمى

تجلس زوجة وندش على حافة السرير . " حضر رجلان إلى هنا هذا اليوم . أحصوا الدجاج ودوَّنوا ذلك في دفاترهم . أمسكوا بثمان دجاجات وأخذوها معهما . وضعوها في قفص معدني . امتلأت العربة الملحقة بجرَّارِهما بالدجاج . " تتنهد زوجة وندش . " ولقد وقّعت لهما ." تقول " وقّعت على أربعمائة كيلو من الذرة ، ومائة من البطاطا . سيأخذونها في ما بعد كما قالوا . أعطيتهما البيضات الخمسين مباشرةً . دخلا إلى الحديقة بجزم مطاطية . شاهدا البرسيم أمام مخزن الحبوب . العام القادم علينا أن نزرع قصب السكر هناك ، هُم قالوا . "

يرفع وندش الغطاء من القدر " والبيت الذي بعدنا ؟ " تساءل . " لم يصلوا إلى هناك " تقول زوجة وندش . دخلت إلى الفراش وغطّت نفسها . " قالوا أن جيراننا لديهم ثمان أطفال صغار ، ونحن عندنا بنت واحدة فقط ، وتكسب مالاً . "

ثمة دمٌ وكبدٌ في القدر . " كان عليَّ أن اقتل الديك الأبيض الكبير " تقول زوجة وندش . " الرجلان كانا يتجولان في الساحة فأصيب الديك بالفزع . طار مرفرفاً بجناحيه إلى أعلى فاصطدم رأسه بالسياج . وعندما غادرا استحالَ أعمى . " .

البصل يطقطق طافياً على شكل عيون في السمن داخل القدر ." وأنتِ قلتِ سَنُبقي على الديك الأبيض الكبير وسنجلب له دجاجات بِيض كبيرة في العام القادم . " يقول وندش . " وأنتَ قلتَ أنَّ أيَّ شيءٍ ابيض اللون يكون حسّاساً ، وكنتَ على حقٍّ في هذا " تقول زوجة وندش .

الدولاب يُصدر صريراً .

" عندما كنتُ راكب الدراجة صوب الطاحونة توقفتُ ونزلت عند النصب التذكاري للحرب . " يقول وندش في الظلمة " أردتُ الدخول إلى الكنيسة لأصلي لكنها كانت مغلقة . اعتقدتُ أنَّ تلكَ علامة سيئة . القس أنتوني في الجانب الآخر وراء الباب . كتابُه السميك بُنّي اللون يشبه الجواز . "

في الدفء ، وفي هواء الغرفة المُعتم يحلم وندش بالسماء تنفرج . تبتعد الغيوم وتنأى عن القرية . ديك ابيض يحلّق في السماء الفارغة . يضرب رأسه بشجرة حور جرداء تنتصب في المرج . لا يستطيع النظر ، فهو أعمى . يقف وندش عندَ طرف حقل شجيرات عبّاد الشمس . يصيح " الطيرُ أعمى " . يعود صدى صوته كصوت زوجته . يتحرك وندش في عمق شجيرات عبّاد الشمس ويصرخ : " أنا لا أبحث عنكِ لأني اعرف انكِ لستِ هنا . "

السيارة الحمراء

الكوخ الخشبي مربع اسود . دخان يتسلل من أنبوب صفيحي . يتسلل إلى التربة الرطبة . . باب الكوخ مفتوح . يجلس رجل ببدلة عمل زرقاء على مصطبة خشبية داخل الكوخ . طاسة من القصدير موضوعة على المنضدة ، تبعث بخاراً . عينا الرجل تتابعان وندش .

غطاءُ فتحةِ البالوعة مَدفوعٌ جانباً ، والرجل واقف في مسرب المياه . يُبصر وندش رأسه والخوذة الصفراء أعلى الأرض . يمر وندش من أمام ذقن الرجل . عينا الرجل تتابعان وندش .

يضع وندش يديه في جيبي سترته . يشعر بحزمة من المال في داخل جيب سترته .

البيوت الزجاجية على الجانب الأيسر من الفناء . الألواح الزجاجية مُضبَّبة . الضباب يبتلع الأغصان . ورودٌ تتَّقِد في البخار . تقفُ السيّارة الحمراء في وسط الساحة . قطعٌ من جذوعِ الشجر بجانب السيارة بينما شرائحُ خشبٍ تتكوَّم عند جدار البيت . الفأسُ مطروحٌ عند جانب السيارة .

يخطو وندش ببطء فتصطَدم كفُّه بتذكرةِ الترام في جيبِ سترته . يشعرُ بالقارِ الرطب يتخللّ حذاءه .

يتطلَّع وندِش في ما حوله . قاطعُ الخشب ليس في الساحة . الرأس ذو القبعة الصفراء ينظر إلى وندش .

ينتهي السياج . يسمع وندش أصواتً في البيت المجاور . قِزم الحديقة الخرافي يسحبُ شجيرةَ الكوبيّة ؛ له قبعةٌ حمراء . كلب ابيض ثلجي يدور راكضاً بشكل دائري ينبح . وندش يرسل نظراتِه إلى الشارع . قضبان سكك الحديد تعدو في الفراغ . ثمة حشيش يرتفع بين القضبان . لون حافات الحشيش اسود بفعل الزيت المحترق . حشيش واطىء ومنحني جرّاء صرير الترام ، وصيحات القطار .

يلتفت وندش . الخوذة الصفراء تغطس في البالوعة . الرجل ذو البدلة الزرقاء يحني احد الأغصان بجانب السقيفة . قزم الحديقة يرتدي مئزر اخضر . شجيرة الكوبية ترتعش بينما يقف الكلب الأبيض الثلجي صامتاً قرب السياج . الكلب الأبيض الثلجي يتابع وندش بنظراته .

يتدفق دخان خارجاً من الأنبوب الصفيحي للكوخ . يُبعد الرجل ذو البدلة الزرقاء الوحل من حول السقيفة وعيناه تتابعان وندش .

نوافذ البيت مغلقة . الستائر البيض تجعله أعمى . يمتد صفان من الأسلاك الشائكة بين خطّافات صدئة على امتداد القسم العلوي من السياج . كومة الخشب لها نهايات بيض قُطِّعت حديثاً . شفرة الفأس تومض . السيارة الحمراء تقف في وسط ساحة البيت . يزهر الورد في البخار الضبابي .

يمر وندش من أمام ذقن الرجل ذي القبعة الصفراء مرة أخرى .

ينتهي خط الأسلاك الشائكة . الرجل ذو البدلة الزرقاء جالس في الكوخ يتابع وندش بعينيه .

يستدير وندش ويقف عند الباب الرئيسي .

يفتح وندش فمه . الرأس بالخوذة الصفراء فوق الأرض . يرتجف وندش . لا صوت في فمه .

الشاحنة تهدر . نوافذها مغشية بالضباب . مراقب العمل يتابع وندش بعينيه .

زر الجرس يقع في إطار الباب . له طرف إصبع أبيض . يضغطه وندش بإصبعه فيصدر صوتاً في الباحة . الصوت يندفع بعيداً داخل البيت . في الجانب البعيد من الجدران ينكتم الصوت كما لو أنه يندفن .

يضغط وندش طرف الإصبع الأبيض خمس عشرة مرة . يحسبها وندش . النغمة الموسيقية العالية بإصبعه ، النغمات العالية في الباحة . النغمات جميعها تندفن في البيت ؛ تتدفَّق إحداها بعد الأخرى .

الحدائقي مدفون في العشب ، في السياج ، في الجدران .

الرجل ذو البدلة الزرقاء يشطف طاسة الصفيح وينظر . يمر وندش من أمام ذقن الرجل ذي الخوذة الصفراء . يتابع وندش خطوط سكَّة الحديد تزامنا مع الفلوس التي بداخل جيب سترته .

قدما وندش متقرحتان من الإسفلت .

كلمة السر

يقود وندش دراجته مُخلِّفاً الطاحونةَ باتّجاه البيت . الظهيرةُ أكبر من القرية . الشمسُ تلفح الدرب . ثقبُ القِدرِ متشقِّق ، وجاف .

زوجة وندش منهمكة في كنس الباحة . الرمل ينتشر بين أصابع قدميها كماءٍ . التموّجات حول المكنسة ساكنة . " شجيرات الاكاسيا اصفرَّت وفصل الخريف لم يحن بعد ." تقول زوجة وندش . يفكُّ وندش أزرارَ قميصه . يقول " سيكون شتاءً قاسياً إذا جفّت الأشجار في الصيف " .

دسّت الدجاجات رؤوسها تحت أجنحتها . بمناقيرها راحت تبحث خارج ظلالها التي لا توفر برودة . الخنازير المرقطة العائدة للجيران تنقب في البريّة . تقتلع الجزر المزهر الأبيض خلف السياج

ينظر وندش من خلال سياج من الأسلاك الشائكة " لا يطعمون الخنازير بأيِّ شيءٍ يؤكَل ." يقول وندش " أولئك الولاشَين لا يعرفون حتى كيف يُطعمون الخنازير "

تمسك زوجة وندش المِكنَسة بمستوى بطنِها " ستُطلِق أصواتاً من أنوفها " تقول . " ستقتلع البيت حين يأتي الشتاء "

تحملُ المكنسة إلى السقيفة . " ساعية البريد كانت هنا . " تقول . " تجشأت ونفثت الشناب . رجل الميليشيا يشكُرُك على الدقيق الذي أهديته له ، قالت ، وأميلي ستأتي من أجل الاستماع يوم الأحد صباحاً . ستجلب معها طلباً وستين لَي قيمة طوابع الريع . "

يعض وندش شفته . يتمدَّدُ فمُه إلى وجهه ، إلى جبهته . " ما الشيء الجيد الذي يستحق الشكر ؟ " يقول . ترفع زوجة وندش رأسها عاليا . " عرفت هذا ." تقول ، " دقيقُك الذي تقدِّمُه لا ينفع بما يجعلك بمنأى عنهم ." . " ينفع بما يكفي " يصرخ وندش في الباحة " لأجل أن لا تصبح ابنتي حشوةَ فراش ." يبصق على الرمل " انه قَرَفٌ ، يا للعار " . تتدلّى قطرةُ لعاب من ذقنه .

" لن تنأى عن قرَفِها في كل الأحوال " تقول زوجة وندش . عظمتا فكّيها حجران أحمران ." الآن ليس سؤال العار " تقول " بل سؤال الجواز ".

يغلق وندش الباب بعنف " يجب أن تعرفي ! " يصرخ " يجب أن تعرفي من روسيا . لم تكوني تتضايقين من العار آنذاك " .

" أنتَ خنزير ! " تصرخ زوجة وندش . تنفتح باب السقيفة وتنغلق كما لو كانت الريح في الخشب . تبحث زوجة وندش عن فمها بطرف إصبعها " عندما يرى رجل الميليشيا ابنتنا أميلي ما تزال عذراء . لن يسعى لفعلها معها " تقول .

يضحك وندش " عذراء ، مثلما كنتِ أنت عذراء في باحة الكنيسة بعد الحرب " يقول . " كان الناس يرتجفون حد الموت في روسيا وأنتِ عشتِ من الفجور . وبعد الحرب كنتِ ستواصلين فجورَكِ لو لم أتزوجُكِ " .

تترك زوجة وندش فمها ينفرج على سعته . ترفع يدها . ترفع سبابتها في الهواء . " تجعل كل إنسان سيئاً " تصرخ به ، " لأنكَ نفسك لستَ صالحاً " ، وليس هناك شيءٌ صالح في رأسك حتى . " . تخطو فوق الرمل . كعبا قدميها مليئان بالشقوق .

يتابع وندش كعبي قدميها . تقف في الشرفة . ترفع صدريتها وتمسح بها سطح المنضدة الفارغة . " " أنتَ فعلتَ شيئاً خاطئاً في بيت الجنائني " تقول . " كل شخص كان يدخل . كل شخص يعرف عن أمر جوازاتهم إلا أنت ، لأنك حاذق ومخلص جداً . " يخطو وندش في الصالة. الثلاجة تصدر همهمة " لم يكن هناك تيار كهربائي طوال الصباح " تقول زوجة وندش . " الثلاجة ذاب ثلجها ، واللحم سيتعفن إن استمر الانقطاع " .

ثمة ظرفٌ على الثلاجة " . ساعيةُ البريد جلبت رسالة " تقول زوجة وندش . " من الدبّاغ " .

يقرأ وندش الرسالة . " لا يوجد اسم لرودي في الرسالة " . يقول وندش " لا بد أن يكون عائداً إلى المصحّة . "

ترسل زوجة وندش نظراتها إلى الباحة . " يبعث التحية إلى أميلي ، لماذا لا يكتب إليها بنفسه ؟ " .

" كتب إليها هذه الجملة هنا " يقول وندش . " هذه الجملة مع PS " . يضع وندش الرسالة فوق الثلاجة .

" ماذا تعني PS ؟ " تسأل زوجة وندش .

يهز وندش كتفيه تعبيراً على اللامبالاة ." لا بد أنها كلمة سر " . تقف زوجة وندش في الممر المفضي إلى الباب " هذا ما يحدث عندما يدرس الأطفال " تتنهد .
يقف وندش في الباحة . تضطجع القطةُ نائمة فوق الممشى الحجري . تضطجع في الشمس ووجهها ميت . بطنها يَتنفس ببطء تحت فرائها .
يرى وندش بيت الدباغ ، يلمحه في ضوء منتصف النهار . الشمس تمنحه أشعة صفراء .

بيت الصلاة

" بيت الدباغ سيصبح بيتاً للصلاة للمعمّدين للولاشين " يقول الحارس الليلي ذلك لوندش أمام المطحنة . " الناس بالقبعات الصغيرة هم معمدانيون . يعوون عندما يصلون ، ونساؤهم يتأوهنَ وهنَّ يؤدين الترنيمات كما لو كنَّ في الفراش . تكبر عيونهن مثل عيني كلب . "
يهمس الحارس الليلي رغم أن وندش والكلب معه فقط عند البركة . يتفرس بعينيه في الظلمة كأنه يخشى من وجود ظل في حالة استماع ونظر له . " جميعهم أخوة وأخوات " يقول . " في يوم الاحتفال يتشكلون أزواجاً مع أي احد يمسكونه في الظلمة . "
يتابع الحارس الليلي جرذي ماء بعينيه . يطلق الجرذي صرخة تشبه صوت طفل ثم يندفع داخل القصب . لم يسمع الكلب همسات الحارس الليلي . ينتصب عند الحافة وينبح على الجرذي .
" يفعلون ذلك على السجاجيد في بيت الصلاة " يقول الحارس الليلي " بسبب ذلك ترى لديهم أولاد كُثر " .
تراود وندش نوبة عطاس مالح وحارق في انفه وجبهته بسبب من ماء البركة وهمس الحارس الليلي .
ولوندش ثقبٌ في لسانه ، ذلك جعله ذاهلاً وأبقاه صامتاً .
" هذا الدين يأتي من أمريكا عبر البحار " يقول الحارس الليلي . يتنفس وندش من خلال عطاسه المالح .
" الشيطان يعبر المياه أيضاً " يقول الحارس " يحملون الشيطان في أجسادهم . حتى كلبي لا يطيقهم هو الآخر . ينبح عليهم . الكلاب لها قدرةُ شمِّ الشيطان . "
الثقب في لسان وندش شرع يمتلئ ببطء . " الدباغ كثيراً ما كان يردد " يقول وندش ، " أنَّ اليهود يديرون أمريكا. " . " نعم ." يقول الحارس الليلي، " اليهودُ هم خرابُ العالم . اليهودُ والنساء ".
وندش يطأطىء رأسه . يفكر بأميلي . " كل سبت ، عندما تأتي إلى البيت عليَّ أن انظر وأرى إلى أيةِ جهة تؤشِّر أصابع قدميها آنْ تضعهما على الأرض ."
يتناول الحارس الليلي التفاحة الخضراء الثالثة . جيب سترته مليء بالتفاح الأخضر . " هي حقيقةٌ ما يخص النساء في ألمانيا . يقول وندش . " ذلك ما كتبه الدباغ . إنَّ أسوأ امرأة هنا ما تزال تُقيَّم بأفضل امرأة هناك " .
يطالع وندش الغيوم . " النساء هناك يجرين وراء آخر التقليعات . يفضلن المشي عاريات لو استطعن ذلك . يقول الدباغ حتى أطفال المدارس يقرؤون المجلات المليئة بالنساء العاريات " " يقول وندش .

يبحث الحارس الليلي عن التفاح الأخضر في جيب سترته . يبصق قضمةَ تفاحٍ مُتَّسخة . " توجد في الفاكهة ديدان منذ انفجار الغيوم " يقول . يلعق الكلب قطعة التفاح التي بصقها الحارس الليلي ثم يأكل الدودة .

" هناك شيء فاسد في هذا الصيف " يقول وندش " زوجتي تكنس الباحة كل يوم . أشجار السنط تذبل يوماً بعد آخر . لم تعد لدينا واحدة في الباحة . الولاشين عندهم ثلاثة منها في باحتهم ، لم تتجرَّد من أوراقها . وكل يوم تتساقط من أوراقها في باحتنا كأنها أوراق لعشرة أشجار . زوجتي تعرف من أين تأتي كل هذه الأوراق . لم يكن في باحتنا مثل هذه الأوراق الكبيرة من قبل . " " الريح تجلبها إليكم " يقول الحارس الليلي . يغلق وندش باب المطحنة .

" لا توجد أيَّةُ ريح " يقول . يرفع الحارس الليلي إصبعه في الهواء . " الريح توجد دائماً ، حتى لو لم يشعر بها المرء " .

في ألمانيا تصبح الغابات جرداء في منتصف العام أيضا " يقول وندش .

" اخبرنا الدباغ " يقول وينظر إلى الأفق ، وإلى السماء المنخفضة . " استقرّوا في مدينة شتوتغارت " . رودي في مدينة أخرى . لم يكتب الدباغ في أية مدينة . أعطيت للدباغ وزوجته كمعونةٍ من الحكومة شقة بثلاث غرف ، وعندهم مطبخ وفسحة للإطعام وحمام بجدران عليها مرايا ."

يضحك الحارس الليلي " في عمرهما وما يزالان يرغبان النظر لنفسيهما عاريين في المرآة " يقول الحارس الليلي .

" بعض من جيرانهم الأغنياء أعطوهما أثاثاً " يقول وندش " . " وتلفزيون أيضا . وجارهم في البيت المقابل كانت امرأة عجوز تسكن بمفردها . عجوزٌ سريعة الغثيان يقول الدباغ أنها لا تتناول اللحوم أبداً . يتسبب تناول اللحم في موتها كما تقول هي " .

" الحياة يسيرة جداً عندهم " يقول الحارس الليلي " ليجيئوا إلى رومانيا ، ويومها سيتناولون أي شيء " .

" لدى الدباغ مُرتَّب تقاعدي جيد " يقول وندش . " زوجته تعمل منظفة في بيت أناس كبار السن ، الطعام عندهم جيد ، وعندما يحين عيد ميلاد احد هؤلاء العجائز يقيمون حفلات رقص " . يضحك الحارس الليلي " تلك هي الحياة التي تناسبني " يقول . " طعام باذخ و جوقة نساء شابات " .

يقضم قلبَ التفاحة فتسقط البذور البيض على سترته . " لا اعرف " يقول ، " ولا استطيع أن أقرر في ما إذا أقدّم طلباً أم لا ." .

يرى وندش الوقت لا يزال ينتصب في وجه الحارس الليلي . يرى النهاية على خدّي الحارس الليلي ، وأن الحارس الليلي سيمكث هناك ، ما وراء النهاية .

يطالع وندش العشب . حذاؤه أبيض بفعل الدقيق . " مرةً أنتَ بدأت " يقول " الأشياء تستمر بشق الأنفس " يتنهد الحارس الليلي " إنّه لشيءٍ صعب أن تكون وحيداً " يقول " ذلك يتطلب وقتاً طويلاً ، ونحن ليس لدينا صغار " .

يضع وندش يده على ساقه . يده باردة وفخذه دافيء . " إنها هنا تسوء وتسوء أكثر " يقول . " يأخذون دجاجنا ، وبيضنا ، سيأخذون بيتك أيضاً والممتلكات " .

القمر كبير . بمستطاع وندش سماع الجرذان تنزل إلى الماء . اشعر بالريح " يقول " العِقدُ في ساقيَّ تقرَّحت ، ستمطر بعد قليل " .

الكلب يقعي بجانب كومة القش ويطلق نباحاً " الريح القادمة من الوادي لا تأتي بالمطر ، فقط الغبار والغيوم " يقول الحارس الليلي " . " قد تأتي العاصفة التي ستسقط الفاكهة من الأشجار ثانيةً " يقول وندش .
القمر يحتجب ببرقع احمر .
" ورودي ؟ " الحارس الليلي يسأل .
" أخذ راحة " يقول وندش . بإمكانه الشعور بالكذبة تشتعل على خديه . " في ألمانيا ليست بمثلِ ما هنا في صناعة الزجاج . الدباغ يكتب أنَّ علينا أنْ نجلب معنا زجاجنا الكريستالي . خزفنا الصيني وريش الوسائد أيضاً ، ولكن ليس الدمسق والملابس الداخلية لأنهم يحصلون عليها بوفرة هناك . الفراء غالٍ جداً .. الفراء والنظارات . "
يمضغ وندش ورقة حشيش . " البداية ليست سهلة " يقول .
يلف ورقة حشيش حول سبابته ." شيء واحد صعب جداً ، يقول الدباغ في رسالته . مرض كلّنا نعرفه . هو الحنين إلى الوطن . "
يمسك الحارس الليلي تفاحةً بيده " لن اشعر بمرض الحنين " يقول " وعلاوة على ذلك أنت بين الألمان هناك . " .
يربط وندش عِقداً بورقة الحشيش " هناك أقوام أجنبية عديدة أكثر من الذين يتواجدون هنا ، يقول الدباغ . " إنَّ هناك أتراكاً وزنوجاً يزدادون بسرعة . " يقول وندش .
يمرر وندش ورقةَ الحشيش عبر أسنانه . ورقة الحشيش باردة . لثته باردة . يقبض وندش على السماء في فمه . يقبض على الريح ومعها سماء الليل . تتمزق ورقة الحشيش بين أسنانه .

قطعة قماش بيضاء

تقف أميلي أمام المرآة ؛ قميصها الداخلي قرنفلي اللون . نقاط تخريم بيض تظهر تحت سرتها . يرى وندش بشرة ركبة أميلي من خلال ثقوب الشريط المخرَّم . ثمّة شعر ناعم على ركبة أميلي . ركبتها بيضاء ومدورة . يرى وندش ركبة أميلي في المرآة أيضاً . يرى الثقوب في شريط التخريم يتبع احدها الآخر .
عينا زوجة وندش في المرآة . إطراف جفون وندش ترف بسرعة ، تتحرك في صدغيه . وريد احمر ينتفخ في زاوية عين وندش .
تمزق نهايات الأهداب . تتحرك النهاية الممزقة في بؤبؤ عين وندش .
النافذة مشرعة . الأوراق على شجرة التفاح تنعكس في الألواح الزجاجية .
تشتعل شفتا وندش ، تقولان شيئاً ما . لكنه يتحدث لنفسه فقط ، يتحدث للجدران داخل رأسه .
" انه يكلم نفسه " تقول زوجة وندش في المرآة .
قطعة قماش بيضاء تطير مُحلقة عبر النافذة في الغرفة . يلاحقها وندش بنظراته . طيرانُها دقيقٌ وريح .
تصل زوجة وندش إلى المرآة . بأصابع مسترخية ومترهلة تعدّل شريطي كتف قميص أميلي الداخلي .

ترفرف القطعة البيضاء فوق مشط أميلي . تسحب أميلي المشط من شعرها بذراعٍ طويلة . تنفخ القطعة البيضاء بعيداً مع دقيقها فتهبط على المرآة . تتهادى فوق الزجاج من أمام بطن أميلي .
تضغط زوجة وندش بطرف إصبعها على الزجاج فتُخمِد القطعة البيضاء على المرآة .
ترش أميلي غيمتين كبيرتين من العطر تحت إبطيها . الغيمتان تعدوان نزولاً تحت ذراعيها ، وداخل قميصها .
علبة الرذاذ المُعطِّر / السبريه سوداء بحروف خضر لامعة . على العلبة كلمتا *ربيع ايرلندي* .
تُعلِّق زوجة وندش فستاناً أحمر على مسند الكرسي الخلفي . تضع زوج من أحذية الصندل بكعبين عاليين وشريطين ضيقين تحت الكرسي . تفتح أميلي حقيبتها اليدوية وتستخرج بطرف إصبعها علبة ظل العينين .
تظلل جفنَ عينيها بطرف إصبعها " لا تضعي الكثير من الظل وإلا سيتحدث الناس عنك " تقول زوجة وندش . أذنها في المرآة كبيرة ورمادية . أجفان أميلي شاحبة ومزرقَّة . علبة تظليل الجفون (المسكارة) مصنوعة من السخام . تقرب أميلي وجهها من المرآة . نظرتُها العجلى إلى الأعلى مصنوعة من الزجاج .
شريط ضيق من ورق فضي يسقط من حقيبة أميلي على البساط ، مليء بثآليل بيض مستديرة .
" ما هذا الذي لديك ؟! " تسألُها زوجة وندش . تنحني أميلي وتعيد الشريط إلى حقيبتها " حبوب دواء " تقول . تدير قلم احمر الشفاه خارج حافظته الاسطوانية السوداء .
تضع زوجة وندش عظام فكها في المرآة " ما هي حاجتك لحبّات الدواء .. أنت لستِ مريضة ؟! " تسألها .
تسحب أميلي الفستان الأحمر فوق رأسها . جبهتها تنزلق عبر الياقة البيضاء . عيناها لا تزالان تحت الفستان . تقول أميلي " آخذها وقت الحاجة " .
يضغط وندش جبهته بيده ويترك الغرفة . يجلس في الشرفة عند المنضدة الخالية . الغرفة مظلمة وثمة ثقب مظلل في الحائط .
الشمس تطقطق في الأشجار . وحدها المرآة تشرق . فم أميلي الأحمر في المرآة .
نساء عجائز ضئيلات الحجم يخطين من أمام بيت الدباغ تسبقهن ظلال أوشحة رؤوسهن . الظلال ستكون في الكنيسة أمام النساء العجائز الضئيلات الحجم .
تمشي أميلي فوق الحصى بكعبي حذائها الأبيض العاليين . بيدها استمارة طلب مربعة الشكل مطوية تشبه حقيبة بيضاء . فستانها الأحمر يتأرجح حول بطتي ساقيها .
يحلق *الربيع الايرلندي* في الباحة . فستان أميلي أكثر دكنة تحت شجرة التفاح مما هو في الشمس .
يرى وندش أن أصابع أميلي تنفرج إلى الخارج عندما تضع قدميها على الأرض .
جديلة شعر أميلي تطير فوق باب ممر الحديقة . تنغلقُ الباب فجأةً .

قداس

تقف زوجة وندش في الساحة خلف العنب الأسود " ألا تذهب إلى القداس ؟ " تسأل . شُجيرة العنب تنمو خارج عينيها . الأوراق الخضر تنمو خارج ذقنها .
" لن أغادر البيت ." يقول وندش . " لا أريد الناس أن تقول لي : الآن جاء دور ابنتك " .

يضع وندش مرفقيه على المنضدة . يداه ثقيلتان . يضع وجهه في يديه الثقيلتين . الشرفة لا تنمو . إنه ضوء نهار فسيح . للحظة تسقط الشرفة في مكان لم تكن فيه قبلاً . يشعر وندش بالسقوط . صخرة تتعلق في أضلاعه .

يغلق عينيه . عيناه بلا وجه .

بعينين عاريتين ، ويحجر في أضلاعه يقول بصوتٍ عالٍ :

" الإنسان لا شيء ، فقط طائر درّاج في الدنيا " .

ما يسمعه وندش ليس صوته . يشعر بفمه العاري . إنها الجدران التي تتكلم .

الكرة الملتهبة

خنازيرُ الجيران المبقَّعة تتمدد نائمة في حقل الجزَر البري . النساء السود يخرجن من الكنيسة . الشمس باهرة الإشراق . ترفعهن فوق الرصيف بأحذيتهن السود الصغيرة . أياديهن متعبة من التسبيح . نظراتهن ما تزال تشعُّ بتأثير أداء الصلاة .

فوق سطح بيت الدباغ يقرع ناقوس الكنيسة معلنا انتصاف اليوم . الشمس ساعة كبيرة أعلى قرعٍ منتصف اليوم . انتهى القداس . السماء ساخنة .

خلفَ النساء العجائز الضئيلات الحجم الرصيفُ خالٍ . وندش يبعث بنظراته على امتداد صف البيوت ، يرى نهاية الشارع ." ستأتي أميلي لا محالة " يفكَّر . توجد بعض الإوَزات في العشب، بيضاء تشبه حذاء أميلي .

الدمعة تتمدَّدُ في الدولاب " لم تملأها أميلي " يفكر وندش .

" أميلي ليست في البيت أبداً عندما تمطر . دائماً ما تكون في المدينة " .

يتحرك الرصيف في الضوء . الإوزات تُبحر إلى أمام . ثمّة أشرعة بيض في أجنحتها . نعلا أميلي الأبيضان الثلجيان لم يطآن دروب القرية .

يصدر باب الدولاب صريراً . والقارورة تقرقر . يحمل وندش كرة رطبة متوهِجة على لسانه . تتدحرجُ الكرةُ أسفل حنجرته . نار تخفق في صدغيه . الكرة تتفكك وترسم خيوطاً ساخنة عبر جبهته . تدفع تجاعيد منحنية شبيهة بخطوط المفارق في رأسه .

قبعة رجل الميليشيا تطوِّق حافة المرآة بينما كتّافتا سترته العسكرية تومضان . تكبر أزرار سترته الزرقاء في مركز المرآة . يظهر وجه وندش من فوق سترة رجل الميليشا .

في البدء يظهر وجه وندش كبيراً وواثقاً أعلى السترة . ثم وجه وندش صغير ومكتئب فوق الكتّافيتين . يضحك رجل الميليشيا بين خدي وجه وندش الكبير الواثق . بشفتين رطبتين يقول " لن تنأى بدقيقِك عنّي " .

يرفع وندش قبضتيه . سترة رجل الميليشيا تتهشم . وجه وندش الكبير الواثق فيه بقعة دم . يضرب وندش الوجهين المكتئبين الصغيرين فوق الكتّافيتين الميتتين .

بصمت تكنس زوجة وندش المرآة المهشمة .

عضّة الحُب

تقف أميلي في مدخل البيت . ثمة بقع حمر على الإطار الفضّي للزجاج . دم وندش أكثر حمرة من ثوب أميلي .
تتدلّى آخر نفثة من *ربيع ايرلندي* فوق بطتي ساقي أميلي . عضّة الحب على رقبة أميلي أكثر حمرة من لون ثوبها . تسحب أميلي نعليها الأبيضين " تعالي ، وكلي " تقول زوجة وندش . الحساء يبعث بخاراً . تجلس أميلي في ضبابه . تمسك الملعقة بطرف أصابعها الحمر وتنظر إلى الحساء . البخار يحرك شفتيها . تنفخ وتتنهد . تجلس زوجة وندش في الغيمة الرصاصية التي ترتفع من صحنها .
أوراق الشجر يصدر خشخشة تأتي عبر النافذة . " تصدر صفيراً في الباحة " يفكر وندش . " في الباحة تتطايرُ أوراقٌ لعشرة أشجار " .
يطالع وندش أذن أميلي فيجدها جزءاً مما يمكن أن يراه ، محمرّة ومتغضنة مثل جفن .
يبلع وندش مكرونة بيضاء ناعمة فتلتصق ببلعومه . يضع الملعقة على المنضدة ويتجشأ . تمتلىء عيناه بالماء .
يتقيأ الحساء في صحنه . فمه يصدر رائحة حموضة ، ترتفع إلى حاجبيه . الحساء في صحن وندش يشبه الغيم بفعل القيء .
يستطيع وندش مشاهدة فناءٍ واسعٍ في الحساء . إنه ليلٌ صيفي في الفناء .

العنكبوت

ذلك السبت كان وندش قد رقص في الليل مع باربرا أمام البوق العميق للغرامافون . تحدثا عن الحرب وهما يرقصان الفالس . كانت شعلة مصباح الكيروسين المنتصب على كرسي تخفق تحت شجرة السفرجل .
لباربرا رقبة نحيفة . رقص وندش مع رقبتها النحيفة . لباربرا فم شاحب . تعلَّق وندش في نَفَسِها وتأرجح . التأرجح كان رقصاً .
تحت شجرة السفرجل كان عنكبوت قد سقط على شعر باربرا . لم يلحظ وندش العنكبوت . دنا مقترباً من أذن باربرا . سمع الأغنية من الغرامافون من خلال جديلتها السوداء السميكة . شعر بمشطها الصلب .
عند مصباح الكيروسين لمعت ورقتا برسيم باربرا الخضر من كلا أذنيها . دارت باربرا . الدوران كان رقصاً .
أحسَّت باربرا بالعنكبوت على أذنها . ارتعبت في مكانها ، فصرخت : " أنا أموت " .
رقص الدباغ على الرمل . رقص عائداً إلى الماضي . ضحِك .أخذ العنكبوت من أذن باربرا وألقى به إلى الرمل ثم دعكَه بحذائه . الدعكُ كان رقصاً .
انحنت باربرا أمام شجرة السفرجل . مسك وندش رأسها .

يدُ باربرا تحركت إلى أذنها . ورقة البرسيم الخضراء لم تستمر طويلاً في تدلّيها من أذنها . لم تبحث باربرا عنها . ولم تستمر في الرقص . بكت . " لم أبكِ على قِرطي " قالت .
فيما بعد .. بعد عدَّة أيام كان وندش يجلس مع باربرا على مصطبةٍ في القرية . كان لباربرا رقبة نحيفة . لمعت واحدة من ورقتي البرسيم فيما كانت الثانية داكنة في الليل .
بخجلٍ سأل وندش عن القرط الثاني . نظرت باربرا إليه . " أين كان ينبغي عليَّ البحث عنه ؟ " قالت . " أخذه العنكبوت بعيداً ، إلى الحرب . العناكب تأكلُ الذهب " .
بعد الحرب تبعت باربرا العنكبوت . أبعدها الثلج في روسيا بعد أن ذاب للمرة الثانية .

ورقة الخس

تمصُّ أميلي عظمةَ الدجاجة . ينهرسُ الخس في فمِها . تضع زوجة وندش جناحُ الدجاجة في فمها " لقد شرِب كلَّ الشناب " تقول . تمصَّ الجلد الأصفر . " هروباً من الأسى " .
تنخز أميلي ورقةَ الخس بأسنان الشوكةِ وترفع الورقةَ إلى فمِها . تتكلَّمُ والورقةُ تهتز . " لن تنأى عنهم بدقيقِك " تقول . شفتاها تمسكان ورقة الخس بإحكام مثل التراكتور .
" على الرجال أن يشربوا لأنهم يعانون " تبتسم زوجة وندش . ظل عين أميلي طيّة زرقاء فوق أهدابها . " ويعانون لأنَّهم يشربون " تكركر . تنظر من خلال ورقة الخس .
عضَّة الحُب على رقبتِها داكنةٌ ، ستستحيل زرقاء وتتحرك عندما تبلع .
تمصُّ زوجة وندش العظام البيض الصغيرة . تبلع قطعَ اللحم الصغيرة التي في رقبة الدجاجة . " احتفظي بعينيك مفتوحتين عندما تتزوجين " تقول . " الشرابُ مرضٌ سيء " . تلعق أميلي أطراف أصابعها الحمر . " وغير صحي " تقول .
ينظر وندش إلى العنكبوت القاتم " العهرُ أكثر صحة " يقول .
تضرب زوجة وندش المنضدة بكفّها .

حساء العشب

قضت زوجةُ وندش في روسيا خمسةَ أعوام . سكنت في كوخ بأسرّة حديدية . يتناسل القمل ويكثر في ثنايا الافرشة . كانت حليقة الشعر . كئيبة الوجه . فروة رأسها حمراء طرية .
على قمم الجبال كانت ثمّة جبال من الغيوم تمتد أيضاً ، وانجرافات ثلوج تحدث . اشتعل الصقيعُ على الشاحنةِ فلا أحد خرجَ من المنجم . كل صباح كان بعض الرجال والنساء يبقون جالسين على المصاطب . يجلسون وعيونُهم مفتوحة . يسمحون لأي امرئ يتجاوزهم . كانوا متجمّدين . كانوا جالسين في الجانب الآخر .
كان المنجمُ اسودَ . كانت المجرفة باردةً . كان الفحم ثقيلاً .

عندما ذاب الجليد في المرة الأولى نما عشب باهت ومستدق الرؤوس في تجاويف حجر الثلج . كانت كاترينا قد باعت سترتها الشتوية مقابل عشرة شرائح من الخبز . كانت معدتُها قنفذاً . كل يوم تقتلع كاترينا حزمةً من العشب لتصنع منه حساءً . كان حساء العشب دافئاً ولذيذاً . القنفذ انكمش داخل أشواكه لساعات قليلة .

ثم جاء الثلج للمرة الثانية كانت لدى كاترينا بطانية صوفية ، هي بمثابة سترة لها طوال اليوم . طُعن القنفذ .

عندما حل الظلام تبعت كاترينا ضوء الثلج . انحنت وزحفت بعيداً عن ظل الحارس . ذهبت إلى سرير حديدي لرجل كان طاهياً . سمّاها كاثي . دفأها وأعطاها بطاطا . كانت بطاطا ساخنة ولذيذة . أوقف القنفذ أشواكه لساعات قليلة .

عندما ذاب الثلج للمرة الثانية نما حساء الحشيش تحت أحذيتهم . باعت كاترينا بطانيتها الصوفية مقابل عشرة من شرائح الخبز . أوقف القنفذ أشواكه لساعات قليلة .

ثم جاء الثلج للمرة الثالثة كانت سترةُ كاترينا جلدَ خروف .

عندما مات الطاهي لمعَ ضوء الثلج في كوخٍ آخر . زحفت كاترين بعيداً عن ظلِّ حارس آخر . ذهبت إلى سريرِ حديدي لرجل آخر . كان طبيباً . سماها كاتيوشا . دفأها وأعطاها ورقة بيضاء تشير إلى أنها مريضة لا يجب أن تذهب إلى المنجم ثلاثة أيام .

عندما ذاب الثلج للمرة الثالثة باعت كاترينا سترتها التي هي جلد خروف مقابل طاسة من السكر . أكلت كاترينا خبزاً رطباً مرشوشاً بالسكر . أوقف القنفذ أشواكه لأيام قليلة .

بعدها جاء الثلج للمرة الرابعة . كانت الجوارب الصوفية الرمادية من سترة كاترينا .

عندما مات الطبيب لمعَ ضوء الثلج فوق باحة المخزن . زحفت كاترينا بعيداً عن الكلب النائم . ذهبت إلى رجل السرير الحديدي . كان الرجل حفارَ القبور . دفن الروس في القرية أيضاً . سمّاها كاتجا . دفأها وأعطاها لحماً من وجبات المآتم في القرية .

عندما ذاب الثلج للمرة الرابعة باعت كاترينا جواربها الصوفية الرمادية مقابل طاسة من دقيق الذرة . كانت عصيدة الذرة ساخنة ؛ انتفخت . أوقف القنفذ أشواكه لأيام قليلة .

ثم جاء الثلج للمرة الخامسة . ثوب كاترين البني اللون كان سترتها .

عندما مات حفار القبور ارتدت كاترينا سترته . زحفت من خلال السياج على امتداد الثلج . ذهبت إلى امرأة روسية عجوز في القرية كان حفار القبور قد دفن زوجَها . عرفت العجوز الروسية سترة كاترينا . كانت سترة زوجها . دفأت كاترينا نفسها في بيت المرأة . حلبت لها المعزى . سمتها المرأة الروسية ديفوشكا أعطتها حليباً .

عندما ذاب الثلج للمرة الخامسة تفتحت عناقيدٌ صفر من الزهور في الباحة .

طفا غبارٌ اصفر في حساء العشب . كان لذيذاً .

في ظهيرة أحد الأيام دخلت شاحنات إلى ساحة المخزن فسحقت العشب . جلست كاترينا على حجر أمام الكوخ وهي تشاهد الآثار القذرة للعجلات . شاهدت الحرّاس الغرباء .

صعدت المرأة إلى واحدة من الشاحنات الخضراء . آثار العجلات لا تفضي إلى المنجم . الشاحنات الخضراء توقفت أمام المحطة الصغيرة .

صعدت كاترينا إلى القطار . بكت بسعادة غامرة .
كانت كفّاها لزجتين بحساء الحشيش عندما علِمت أنَّ القطار سيتحرك باتجاه الوطن .

النورس

فتحت زوجة وندش التلفزيون . المغنّيّة تتكىء على حاجز عند البحر . حاشية تنورتها ترفرف . أطراف قميصها التحتاني تتدلى فوق ركبتها .
يطير طائر نورس فوق الماء . يطير قريباً من حافة الشاشة . طرف جناحه يندفع داخل الغرفة .
" لم أكن أبداً عند شاطيء البحر " تقول زوجة وندش . " لو لم يكن بعيداً جداً لجاء طائر النورس يوما ما إلى القرية ." يندفع النورس مقتحماً الماء فيبتلع سمكة .
تبتسم المغنية . لها وجه طائر النورس . تفتح عينيها وتغلقهما كما يحدث ذلك مع فمها . تغني أغنية عن البنات من رومانيا . شعرها يريد أن يكون ماءً . أمواج صغيرة ترفرف عند صدغيها .
" البنات من رومانيا " تصدح المغنّية " لطيفات كالزهور في المرج بشهر مايس " . يداها تؤشران باتجاه البحر . تهتز الأجمات الرملية عند الشاطيء .
رجل يسبح في الماء . يسبح بعد يديه ، بعيداً في الماء . وحيدٌ هو ، والسماء تنتهي . رأسه يتحرك على سطح الماء . المويجات سود . طير النورس أبيض .
وجه المغنية ناعمٌ . الريح تُظهِر الحاشية المخرمة لقميصها التحتاني .
تقف زوجة وندش أمام الشاشة . تؤشّر على ركبة المغنية بطرف إصبعها " التخريم لطيف . مؤكد أنه ليس من رومانيا " تقول .
تقف أميلي أمام الشاشة " الثوب المخرم للراقصة في المزهرية الكريستالية يشبه هذا بالضبط " . تضع زوجة وندش قطع كيك بسيطة على المنضدة . الصفيحة المعدنية تحت المنضدة . القِطّة تلعق القيء المتراغي منها .
تبتسم المغنية . تغلق فمها . خلف أغنيتها يخفق البحر بأمواجه على الشاطىء . " سيعطيك أبوكِ مالاً مقابل المزهرية الكريستالية ." تقول زوجة وندش .
" كلا " تقول أميلي " لقد ادخرتُ مالاً وسأدفعه لهذا الغرض بنفسي . "

البومة الصغيرة

استقرت البومة الصغيرة في الوادي فترة أسبوع . يشاهدها الناس كل مساء حين يعودون من المدينة . غسق رمادي ينبسط على سكك الحديد . ذرة سوداء وغريبة تتماوج حول القطار . تجلس البومة الصغيرة بين الشوك الباهت اللون كما لو كانت تجلس في ثلج .

يخرج الناس إلى المحطة صامتين . يحتفظون بحقائبهم قريبةً منهم . القطار لم يطلق صفارته منذ أسبوع . أنهم في طريقهم إلى الوطن . عندما يلتقون أناساً آخرين في طريقهم إلى الوطن يقولون " هذا آخر مكان للتوقف . وفي الغد ستكون البومة الصغيرة هناك لتلحق الموت . "

يطلب القس من فتى المذبح الصعود إلى برج الكنيسة . يدوّي الناقوس . عندما ينزل فتى المذبح إلى الأرض مرة أخرى يبدو شاحباً " لن اسحب الناقوس . الناقوس سحبني . لو لم أمسك بالعارضة لكنت طرت عالياً في السماء ." يقول .

دوي الناقوس أربكَ البومة الصغيرة فطارت عائدة إلى الوطن . طارت جنوباً على امتداد الدانوب . طارت على امتداد صوت الماء إلى حيث يتواجد الجنود .

في الجنوب السهلُ ساخنٌ وأجرد بلا أشجار . إنّه يشتعل . أطلقت البومة الصغيرة ضوء عينيها بين ثمار الورد البري . بجناحيها المحلقين فوق الأسلاك الشائكة تتمنى نفسها الموت .

يتمدد الجنود في الصباح الرمادي . تفصلهم الأدغال ؛ فهم في مناورات عسكرية . في حرب مع أيديهم ، مع عيونهم ، مع جباههم .

يطلق الضابط أمراً .

احد الجنود يبصر البومة الصغيرة في الدغل . يبسط بندقيته على العشب ويقف . تطير الرصاصة . تضرب الهدف .

الرجل الميت هو ابن الخياط . الرجل الميت هو ديتمار . يقول القس : " البومة الصغيرة جلست عند الدانوب وراحت تفكر بقريتنا . "

ينظر وندش إلى دراجته . جلب معه أخبار الرصاصة من القرية إلى الحقل . " كما لو أن الحرب عادت من جديد " يقول .

ترفع زوجة وندش حاجبيها " لاشيء يمكن فعله مع البومة . كان حادثاً " تقول . تسحب ورقة صفراء من شجرة التفاح وتنظر إلى وندش من أعلى إلى أسفل ؛ من قمّة رأسه حتى حذائه . تنظر طيلة الوقت إلى جيب صدر الجاكيت ؛ تحت المكان الذي يدق فيه قلبَه .

يشعر وندش بالنار في فمه " فهمُكِ محدود جداً " يصرخ " لا يمتد من جبهتك إلى فمك حتى " . تبكي زوجة وندش وتفتت الورقة الصفراء .

يشعر وندش بضغط ذرّة الرمل في جبهته . " تبكي على نفسها . يفكّر. " ليس لأجل الرجل الميت . النساء يبكين على أنفسهن فقط . "

المطبخ الصيفي

ينام الحارس الليلي على المصطبة أمام المطحنة . قبعته السوداء تجعل نومه مخملياً وعميقاً . جبهته شريطٌ شاحب ."" ضفدع الأرض في رأسه من جديد " يفكر وندش . يرى الوقت يقف ثابتاً على خديه .

يتكلم الحارس الليلي في حلمه . ساقاه ترتعشان . ينبح الكلب فيستيقظ الحارس الليلي . جافلاً يخلع قبعته . جبهته ندية ." ستقتلني " يقول . صوته عميق . تعودُ إلى حلمه " كانت زوجتي عارية ، وتلف شعرها على لوح المعجّنات " يقول الحارس الليلي . " لم يكن جسمها بأكبر من جسم طفل . عصير اصفر يسيل من لوح

المعجنات . كانت الأرض رطبة وثمة عجائز يجلسن حول المنضدة ، يرتدين السواد . جدائلهنَّ شعثاء . لم يمشطنَ شعورهنَّ منذ زمن بعيد . ولِما النحيفة نحيفةٌ كزوجتي ، تمسك قفازاً أسود بيدها . قدماها لا يصلان أرضية الغرفة . كانت تتطلَّع خارج النافذة . سقط بعدها القفاز من يدها . نظرت ولما النحيفة إلى ما تحت الكرسي . لم يكن القفاز تحت الكرسي . كانت الأرض خالية . كانت الأرضُ بعيدة تحت قدميها ، ما جعلها توشك على الصراخ . أغمضت عينيها نصف إغماضه ، وبوجهٍ مجعَّد قالت : إنَّ لمن الخزي ترك الميت يتمدد هناك في المطبخ الصيفي . قلتُ لم اعرف أنَّ لنا مطبخاً صيفيّاً حتى . رفعت زوجتي رأسها من لوح المعجنات وابتسمت . نظرت ولِما النحيفة إليها . لا تعارضيني قالت لزوجتي ، ثم خاطبتني : تُقطِّرها وتشم . ".

فم الحارس الليلي مفتوح . دموع تسيل نازلة على خديه .

يمسكه وندش من كتفه " أنت تدفع بنفسك إلى الجنون " يقول . تطقطق المفاتيح في جيب سترته .

يدفع وندش باب الطاحونة بقدمه .

يحدِّق الحارس الليلي في قبعته السوداء . يرفع وندش الدراجة بعيداً عن المصطبة " سأذهب لاستلام الجواز " يقول .

حرس الشرف

يجلس رجل الميليشيا في باحة بيت الخياط . يقدِّم شراب الشناب إلى الضباط . يقدم الشناب إلى الجنود الذين حملوا التابوت إلى داخل البيت . يبصر وندش النجيمات على الكتّافيات .

يميل الحارس الليلي وجهه قريباً من وندش . " رجل الميليشيا سعيد لأنه حصل على رفقةٍ " يقول .

يقف العمدة تحت شجرة البرقوق الأصفر متعرِّقاً . يقرأ في ورقة . يقول وندش " لا يستطيع قراءة ما مكتوب لأنَّ المعلم مَن كتَبَ كلمة العزاء " . " يريد كيسين من الدقيق غداً مساءً " يقول الحارس الليلي .. يشم رائحة الشناب .

يأتي القس إلى الباحة ورداؤه الأسود يتدلّى حتى يمس الأرض . سريعاً يغلق الضباط أفواههم فيما يضع رجل الميليشيا قارورة الشناب خلف الشجرة .

التابوت مصنوع من المعدن . يشعُّ في الباحة كعلبةِ تبغٍ ضخمة . يحمل حرس الشرف التابوت خارج الباحة . بتوافقٍ تحافظ أحذيتهم ضرباتها على إيقاع المارش .

فوق الشاحنة قماش احمر . تهتز القبعات السود للرجال مع هزات رؤوسهم بينما تمر أوشحة النساء ببطء من خلفهم ، مشدودةً برخاوة إلى حبّات مسبحاتهن السود . الحوذي يخطو ، يتحدث بصوتٍ عالٍ .

تتمايل رؤوس حرس الشرف الذين فوق الشاحنة من جانبٍ لآخر . الجنود يمسكون بنادقهم بثبات جرّاء ثقوب القدر . فهي عالية جداً عن الأرض ، عالية جداً عن التابوت .

قبرُ ألأرملة كرونر لا يزال أسود ومرتفعاً . " لم تستقر الأرض لأنها لم تمطر " تقول ولِما النحيفة . باقة نبات كوبية الماء تتفتت متفرقة .

تأتي ساعية البريد وتقف بجانب وندش . " كم سيكون لطيفاً لو أنَّ الشباب يحضرون المأتم أيضاً " . يحدث هذا منذ أعوام ." تقول . " عندما يموت شخصٌ ما في القرية لا أحد من الشباب يحضر ." تسقط دمعة على يدها . " على أميلي الحضور للمقابلة يوم الأحد صباحاً . "

تردد مُتقدِّمة المصلّين ترتيلها في أذن القس . عبق البخور يشوّه فمَها .
إنها مطعونة وتقية جداً في ترتيلها بحيث شرع بياض عينيها يكبر ببطء مغطياً البؤبؤين .
تنشج ساعية البريد . تمسك وندش من مرفقه " وكيسان من الدقيق " تقول .
الناقوس يدق ويواصل رنينه حتى تقرَّحَ لسانُه . وابل من القذائف العسكرية تتصاعد فوق القبور . كتل من تراب الأرض تسقط على التابوت المعدني .
تمكث متقدِّمة المصلين واقفة عند نصب الحرب التذكاري . بزاويتي عينيها تبحث عن مكان لتقف فيه .
تطالع وندش ، تتجشأ . يسمع وندش البلغم يتكسر في حنجرتها . الآن تتفرَّغ من الغناء .
" على أميلي المجيء لمقابلة القس يوم السبت بعد الظهر . على القس البحث عن شهادة معموديتها في السجل " تقول لوندش .
تُنهي زوجة وندش صلاتها ثم تأخذ خطوتين فتقف أمام وجه متقدِمة الصلاة . " شهادة المعمودية ليست عاجلة جداً ، أليس كذلك ؟ " تقول . " بل عاجلة جداً " تقول متقدمة المصلين . " رجل الميليشيا أخبر القس بأن جوازاتكم جاهزة في مكتب الجوازات حالياً. "
تعصر زوجة وندش منديلها . " ستجلب أميلي المزهرية الكريستالية يوم السبت " تقول . " إنها سهلة الكسر لا تستطيع إيصالها من المحطة إلى القس مباشرةً " يقول وندش .
تسحق مُقدِّمة المصلين الرملَ بطرف حذائها . " ثم عليها أولاً الذهاب إلى البيت " تقول . " الأيام ما زالت طويلة " .

الغجر يجلبون الحظ

خزانة المطبخ فارغة . تضرب زوجة وندش الباب بعنف لتغلقها . تقف البنت الغجرية الصغيرة القادمة من القرية المجاورة حافية القدمين وسط المطبخ حيث تنتصب المنضدة في مكانها المعهود . تضع قدور المطبخ في كيسها الكبير . ترخي منديلها . تعطي لزوجة وندش خمس وعشرين لَي . " لا أملك أكثر من هذا " تقول . لسان الشريط يلتصق بجديلتها . " أعطيني ثوباً كذلك . الغجر يجلبون الحظ " تقول الفتاة الغجرية .
تعطيها زوجة وندش ثوبَ أميلي الأحمر " اذهبي الآن " تقول . تشير البنت الغجرية الصغيرة على إبريق الشاي . " الإبريق أيضاً " تقول. " سأجلب لكم الحظ " .
تدفع صانعةُ اللبن ذات الوشاح الأزرق عربة اليد مع قطع من الفراش عبر الباب الرئيسي ، حاملةً الافرشة العتيقة على ظهرها بإحكام .
يعرض وندش التلفزيون على الرجل ذي القبعة الصغيرة . يفتحه فتُصدِر الشاشةُ طنيناً . يحمل الرجل التلفزيون خارجاً ؛ يضعه على المنضدة التي في الشرفة . يتسلم وندش الأوراق النقدية منه .
يقف حصان وعربة مصنع الألبان أمام البيت . يقف رجل وامرأة عند الفسحة الأرضية البيضاء حيث يكون مكان السرير كما المعتاد . ينظران إلى خزانة الملابس ومنضدة التزيين ." المرآة مكسورة " تقول زوجة وندش . ترفع صانعة اللبن كرسيا وتتفحَّص جوانبه ؛ تنقر على المنضدة بأصابعها . " خشبها فاخر ." يقول وندش ." لن تحصل على أثاثٍ مثل هذا في المحلات مطلقاً . " .

الغرفة خالية . تتحرك العربة التي تحمل خزانة الملابس في الشارع . تلتصق أرجل الكرسي بجانب الخزانة . تخشخش كالعجلات . المنضدة ومنضدة الزينة مركونتان فوق الحشيش خارج البيت . تجلس صانعة اللبن على الحشيش متابعةً العربة بأنظارها .

تلف ساعية البريد الستائر في جريدة . تنظر إلى الثلاجة " لقد بيعت . " تقول زوجة وندش . " سيأتي سائق الجرار ليأخذها هذا المساء " .

الدجاجات متمددة ورؤوسها في الرمل . أرجلها مربوطة سويةً . تضعها ولِما النحيفة في سلة الخوص " عُميَ الديك ." تقول زوجة وندش . " كان عليَّ أن اقتله " . تعد ولِما النحيفة الأوراق النقدية . تتسلَّمها زوجة وندش لقاء سعر الدجاج .

للخياط شريط اسود على ياقته . لفَّ البساط . تطالع زوجة وندش يديه . " لا تستطيع الهرب من القَدر " . تتنهد .

تنظر أميلي إلى شجرة التفاح من خلال النافذة " لا اعرف " يقول الخياط " لم يؤذِ روحاً أبداً " .

تنشج أميلي . تدفع بوجهها إلى خارج النافذة . تسمع إطلاق النار .

يجلس وندش مع الحارس الليلي في الباحة . " توجد مطحنة جديدة في القرية ." يقول الحارس الليلي . " رجل من الولاشين بقبعة صغيرة من المطحنة المائية . " يعلِّق الحارس الليلي بعض القمصان والسِّتر والبنطلونات فوق حامل الدراجة . يمد يده في جيبه . " لقد قلتُ أنَّها هدية " يقول له وندش .

تسحب زوجة وندش مئزرها " خذ هذه . سيكون سعيداً إن أمنحها لك . ما تزال كومة من الملابس القديمة موجودة هنا وهناك من أجل إعطائها للغجر . " . تضغط على خدِّها " الغجر يجلبون الحظ " تقول .

حظيرة الخراف

يقف الطحّان الجديد في الشرفةِ . " أرسلني العمدة . سأسكن هنا " يقول .

قبعته الصغيرة مائلة . رداؤه المعمول من جلد الخراف جديد . يطالع المنضدة التي في الشرفة " سأستخدم تلك " يقول . يتمشى داخل البيت ، يتبعه وندش . زوجة وندش تتابع وندش حافي القدمين .

يتفحَّص الطَّحان الجديد الباب في الصالة ويتحوَّل بنظره إلى مقبض الباب . يتفرَّس في جدران وسقف الصالة . ينقر على الباب . " هذا الباب قديم " يقول . يميل ليطالع إطار الباب ويتحوَّل للنظر في الغرفة الفارغة ." قيلَ لي أنَّ البيت مؤثث " يقول . " ماذا تعني مؤثث ؟ " يقول وندش . " أثاثي وبعته " .

تخطو زوجة وندش خارج الصالة . بإمكان وندش الشعور بطرْقٍ في رأسه .

ينظر الطحان الجديد إلى جدران وسقف الغرفة . يفتحُ النافذة ويُغلقُها . يضغط على ألواح الأرضية برأس حذائه . " إذاً عليَّ أن أهاتف زوجتي . عليها أنْ تأتي ببعض الأثاث " يقول .

يتحرك الطحان إلى الباحة . يتفحَّص السياج . يشاهد خنازير الجيران المبقعة ." عندي عشرة خنازير وست وعشرون خروفاً " يقول . " أين حظيرة الخراف ؟ "

يبصر وندش الأوراق الصفر على الرمل " لم نكن نملك خرافاً " يقول . تدخل زوجة وندش إلى الباحة وبيدها مكنسة ." الألمان لا يملكون أية خراف " تقول . تمرر المكنسة بخفة على سطح الرمل . " السقيفة ستكون مرآباً جيداً " يقول الطحان . " سآتي بألواح خشبية وابني حظيرة خراف . " .

يصافح الطحان وندش . " المطحنة جميلة " يقول .
تصنع زوجة وندش بالمكنسة أمواجاً دائرية كبيرة في الرمل .

الصليب الفضي

أميلي جالسة على الأرض في الغرفة . تتراصف أقداح النبيذ طبقاً لحجمها . تلمع أقداح شراب الشناب . الأزهار الحليبية التي بجانب إناء الفواكه صَلِبة . المزهريات منتصبة عند الحائط . في حين تنتصب المزهرية الكريستالية في زاوية الغرفة .
تمسك أميلي بالصندوق الصغير والدمعة في يدها .
تسمع أميلي صوت الخياط داخل رأسها : " لم يؤذِ روحاً أبداً " .
شظية من النار تلتهب في جبهة أميلي .
تشعر بفم رجل المليليشيا على رقبتها . نَفَسُه يبعث رائحة شراب الشناب . يضغط ركبتَها بيده . يرفع ثوبها . " أنت لذيذة جداً " يقول . تنبسط قبعته جوار حذائه . تلمع أزرار بدلته .
يفك أزرار بدلته . " اخلعي ملابسك " يقول . يتدلى صليب فضي تحت السترة الزرقاء . يخلع القس رداءه الكهنوتي الأسود . يمس جديلة شعرها المتدلية على خدها برفق . " أزيلي احمر الشفاه من شفتيك " يقول . يقبّل رجل الميليشيا كتف أميلي . يتدلّى الصليب الفضي أمام فمه . يمسِّد القس فخذ أميلي " اخلعي قميصك الداخلي " يقول .
تشاهد أميلي المذبح من خلال الباب الموارَب . ثمَّة تلفون أسود اللون بين الورود . يتدلى الصليب بين نهدي أميلي .
كفّا رجل الميليشيا يضغطان نهدي أميلي " لديكِ تفاحٌ لذيذ " يقول القس . فمُه نديٌّ . يتدلّى شعرُ أميلي على طرف السرير . حذاؤها الصندل تحت الكرسي . يهمس رجل الميليشيا : " رائحتُكِ زكيّة . " . كفّا القس بيضاوان . يلتقط الضوء الثوبَ الأحمر في نهاية السرير الحديدي . يرن التلفون الأسود بين الورود . " لا وقتَ لديَّ الآن " يُعلن رجلُ الميليشيا تذمرَّهُ . فخذا القس ثقيلان . " عبّري ساقيكِ على ظهري " يهمس لها . يضغط الصليب الفضي على كتف أميلي . جبهة رجل الميليشا مُندّاة . " استديري " يقول . يتدلى رداء الكهنوتي الأسود من مسمار طويل خلف الباب . انفُ القس بارد . " يا ملاكي الصغير " يخاطبها لاهثاً .
تشعر أميلي بعقبي حذائها الصندل في معدتها . النارُ من جبهتها تُلهب عينيها . ينضغط لسان أميلي إلى قعرِ فمها . يبرق الصليب الفضي في زجاج النافذة . ظلٌّ ما يتدلى في شجرة التفاح . ظلٌّ أسود وباعث على القلق . الظلُّ هو قبرٌ .
يقف وندش خارج الباب . " هل أنتِ طرشاء " . يقول . يُخرج حقيبة السفر الكبيرة لأميلي . تدير أميلي وجهها للباب . خدّاها متعرّقان . " أعرف أن الرحيل صعب " يقول وندش . يبدو كبير الحجم في الغرفة الفارغة . " تماماً كأنها حرب من جديد " يقول " نذهب دون أنْ ندرك إذا ما كنّا سنعود ؛ كيف ، ومتى " .

تمتليء عينا أميلي بالدموع مرة أخرى . " لن تكون رطبة مع الماء المستخرج من البئر " تقول . تضع زوجة وندش الصحون في حقيبة . تأخذ الدمعة بيدها . عظما خديها ناعمان وشفتاها مبللتان . " ستصدقين بصعوبة حدوث مثل هذا الشيء هناك " تقول .

يستطيع وندش سماع صوتِها داخل رأسه . يرمي سترته في الحقيبة . " لدي ما يكفي منها ." يصرخ " لا أريد رؤيتها ثانيةً " . يطأطئ رأسه ، وسريعاً يضيف: " الشيء الوحيد الذي تستطيع فعله هو جعل الناس حزانى " .

تحشر زوجة وندش السكاكين بين الصحون " في الحقيقة هي لا تفعل إلا ذلك " تقول . يرى وندش الإصبع الموحل الذي سحبته من شعرها . ينظر إلى صورة جوازه . يهز رأسه من جانب لآخر . "إنها لخطوةٍ عسيرةٍ " يقول .

تلمع نظارتا أميلي داخل حقيبة السفر . تكبر البقع البيضاء على جدران الغرفة . أرض الغرفة باردة . المصباح المضيء يبث إشعاعات مستطيلة في الحقيبة .

يضع وندش الجواز في جيب سترته " مَن يدري ما سيحصل لنا ؟ " .. تتنهد زوجة وندش . ينظر وندش إلى الأشعة النافذة للضوء . أميلي وزوجة وندش تغلقان الحقيبة .

التجعيدة

دراجةٌ خشبية تبعث صريراً في السياج . وفوق ، دراجةٌ من غيمة بيضاء تسبح في السماء بسلام . حول الغيوم البيض غيوم ماء رصاصية وفارغة كأنها بُركة . حول البركةِ جبال صامتة فقط . يطوف جبل رمادي كثيفاً ، متشوقاً إلى الوطن .

يحمل وندش حقيبتين كبيرتين . ومثله تحمل زوجة وندش . رأسها يتحرك حركة سريعة . رأسها صغير جداً ، وحجر عظام فكّيها مطوَّق بالظلمة . كانت زوجة وندش قصَّت جديلتها . شعرها القصير متجعِّد ، وفمها متصلِّب وضيّق بسبب من أسنانِها البيض . تتكلّم بصوتٍ عالٍ .

تهتز أشجار البقس في حديقة الكنيسة . الشريط الخيطي يرتخي من شعرِ أميلي . يتراجع إلى أذنها .

ثقبُ القِدر متصدِّع ورصاصي بينما تنتصب شجرة الحور مثل مقشَّة في السماء .

عيسى ينامُ على الصليب عند بابِ الكنيسة . عندما يستيقظ سيكون شيخاً . سيكون الهواءُ في القرية أكثر إشراقاً من جِلده العاري .

عند دائرة البريد يتدلّى القفلُ من سلسلته . المفتاح في بيت ساعية البريد . هو الذي يفتح القفل . هو يفتح حشية الفراش للإدلاء بالشهادات .

تحمل أميلي الحقيبة الثقيلة مع مقتنياتها من الزجاج . حقيبتها اليدوية معلقة على كتفها ، وفيها الصندوق ذو الدمعة . في يدها الأخرى تحمل أميلي مزهرية الكريستال مع الراقصة .

القرية صغيرة . يتمشى الناس في الشوارع الفرعية ، نائين ، وينسحبون بعيداً . الذِّرةُ حائط اسود في نهايات الشوارع .

يشاهد وندش صفوفاً رمادية من الوقت ساكنة حول رصيف المحطة . . طبقة رقيقة من الحليب فوق قضبان السكة الحديد ، تصعد حتى تصل ركَبِها . تمتد قشرة زجاجية فوق الطبقة الرقيقة . الوقت الساكن ينسج شبكة حول حقائب السفر ، ويشدّها من أذرعِها . يخبط وندش بقدميه على طبقة الحليب .

خطوات القطار عالية . يرفع وندش حذاءه خارج طبقة الحليب .

تمسح زوجة وندش بمنديلها الغبار من فوق المقاعد . تثبت أميلي مزهرية الكريستال على ركبتيها . يضغط وندش وجهه على زجاج النافذة حيث صورة (البحر الأسود) تتدلى على جدار المقصورة . يقف الماء صامتاً بينما الصورة تهتز . فهي تسافر أيضاً .

" الصعود في الطائرة يُمرضني . كان ذلكَ من أيام الحرب " يقول وندش . تضحكُ زوجة وندش . تصطكُّ أسنانُها .

بدلة وندش ضيقة جداً عليه . الأكمام قصيرة جداً . " الخياط صنعها صغيرة جداً عليك ." تقول زوجة وندش . " قماش غالي جداً ولكن ضائع تماماً " .

حين يتحركُ القطار يشعر وندش بجبهتِه تمتلىء بالرمل شيئاً فشيئاً . رأسُه ثقيل وعيناه تغوصان في النوم . يداه ترتعشان . ساقاه منشدّان ويقظان . يبصر وندش امتداد أشجار خفيضة وصدئة من خلال النافذة . " منذ أخذت البومة ابنه لم يستطع الخياط التفكير على الإطلاق " يقول وندش . تمسك زوجة وندش ذقنها بكفّها .

يتدلى رأس أميلي على كتفها . شعرُها يغطي خدّيها . هي نائمة . " دعها تنام " تقول زوجة وندش .

" الآن لم تعد لي جديلة مُطلقاً . لست أدري كيف أمسك رأسي " . ثوبها الجديد ذو الياقة البيضاء المخرمة يشع أخضر مثل ماء . يقعقع القطار على الجسر الحديدي . البحرُ يهتز فوق جدار المقصورة ، فوق النهر . ثمَّة رمل كثير ولكن ماء قليل في النهر .

يلاحق وندش الأجنحةَ المصفِّقة للطيورِ الصغيرة .هذه الطيور تطيرُ ممزقةً السرب ، باحثة عن أشجار تمتد على ضفتي النهر حيث توجد الأدغال والرمال ، والماء .

يسير القطار الهوينا بسبب تقاطع قضبان السكك بصورة مربكة . فالمكان يشكِّل مبتدأ مدخل المدينة . ثمة أكوام نفايات وبيوت صغيرة بحدائق شديدة النمو. يرى وندش عديد قضبان السكك الحديد تتداخل في ما بينها . يرى قطارات أخرى على قضبان حديدية متقاطعة بصورة مشوِّشة .

يتدلى الصليب الذهبي من السلسة فوق الثوب الأخضر . يوجد أخضر وفير حول الصليب .

تحرك زوجة وندش ذراعها فيتأرجح الصليب في السلسلة . يتحرك القطار مسرعاً متخذاً سكّة فارغة بين القطارات الكثيرة .

تنهض زوجة وندش . نظرتها واثقة وراسخة . تبصر المحطة . تحت شعرِها المتموِّج ، في داخل جمجمتها كانت زوجة وندش قد أثثّت العالم الجديد الذي فيه ستحمل حقيبتها الكبيرة . شفتاها تشبهان رماداً بارداً . " بمشيئة الله سنعود في زيارة في الصيف القادم " تقول .

****

الرصيفُ مُتصدِّع . البُرَك الصغيرة ابتلعت الماء . يغلق وندش السيارة . تومض دائرةٌ فضية فوق السيارة . في داخلها ثلاثةُ متكلمين يشبهون ثلاثةَ أصابع . ثمّة ذبابٌ فوق غطاء محرك السيارة . ذروقُ طير تلتصق في الزجاجة الأمامية . وفي الخلف ، كلمة (ديزل) مكتوبةٌ على صندوق السيارة . حصانان يجرّان عربة تُصدر قعقعةٌ . الحصانان من نوع بوني* ، والعربةُ مصنوعة من الغبار . سائقُ العربة أجنبي . له أذنان طويلتان تحت قبعته .

وندش وزوجته يسيران في كُرةٍ من القماش . هو يرتدي بدلةً رمادية اللون . هي بكوستم رمادي من نفس القماش .**

---

*حصان بوني : حصان صغير الحجم جداً بحجم ثلث الحصان المعتاد .(المترجم)

** الكوستم : بدلة تتألف من سترة وتنّورة .

زوجة وندش تلبس حذاءً اسودَ بكعبين عاليين.

في ثقب القدر يشعر وندش بالطقطقات تصدر قوية من حذائه . ثمة أوردةٌ زرق على بطتي ساقي زوجته الأبيضين .

تطالع زوجة وندش السطوحَ الحمر المنحدرة . " تبدو كما لو لم نكن سكنّا هنا من قبل " تقول . تقول هذا والسطوحُ المنحدرة كأنها حصى احمر تحت حذائها . شجرةٌ تنشر ظلَّها فوق وجهها . عظامُ فكّيها حجريان . ينسحب الظلُّ إلى الشجرة تاركاً تجعّدات على ذقنها . يلمعُ صليبُها الذهبي . تمسكُه الشمس . الشمس تمسكُ توهجاتِها على الصليب .

تجلس ساعيةُ البريد عند الحاجز الخشبي . هناك دمعةٌ في حقيبتها الجلدية الظاهرة . تدفع بخدِّها من اجل قبلةٍ تنالُها من زوجة وندش . زوجة وندش تقدِّم لها إصبعَ حلوى . تشعُّ الورقةُ السماوية اللون التي تغلفها . تضع ساعيةُ البريد أصابعها على حافتها الذهبية .

تحرك زوجة وندش الأحجارَ التي في عظام خدها . يأتي الحارس الليلي صوب وندش . يرفع قبعتَه السوداء . يشاهد وندش قميصَه وسترته يلبسهما الحارس الليلي . الريحُ تحرّك جزءاً من ظلٍّ على ذقنِ زوجة وندش . يسقطُ الظلُّ على سترة كوستمها . ترتدي زوجة وندش الظلَّ ويافتُها تشبه قلبَ ميت .

" أصبح عندي زوجة ." يقول الحارس الليلي . " إنها صانعة اللبن العاملة في حظيرة الأبقار في القرية " .

تشاهد زوجة وندش صانعةَ اللبن مع القلنسوة الزرقاء واقفةً خارج الحانة ، جوار دراجة وندش ." اعرفها " تقول زوجة وندش . " لقد اشترت سريرَنا ".

تنظر صانعة اللبن عبر الطريق ، إلى الساحة التي أمام الكنيسة ، تأكل تفاحةً وتنتظر .

" أخمّن أنكم الآن لا تبغون الهجرة " يقول وندش . يعصر الحارس الليلي قبعته التي بيده .

يبعث بنظره صوبَ الحانة " أنا باقٍ هنا " يقول .

يلمح وندش اللطخةَ الوسخةَ على قميصه ، ووريدٌ يضرب في عنق الحارس الليلي . ينتصبُ الزمنُ ساكناً . " زوجتي تنتظر " يقول الحارس الليلي وهو يشير إلى جهة الحانة .

يرفع الخياط قبعته أمام نصب الحرب التذكاري . ينظر إلى مقدِّمة حذائه وهو يخطو . يقف عند باب الكنيسة بجانب وِلما النحيفة . يقرّب الحارس الليلي فمه من أذن وندش " توجد بومة صغيرة في القرية " يقول . " تعرف طريقَها في الأرجاء . لقد جعلت وِلما النحيفةَ تمرض " يقول الحارس الليلي مبتسماً . " وِلما النحيفة ماهرة . أخافت البومة فجعلتها تهرب " . يوجّه نظراته إلى الحانة " سأذهب " يقول .

خرقةُ القماش البيضاء ترفرف أمام وجه الخياط . خدّا الخياط شاحبان مثل ستارتين تحت عينيه .

تطير خرقةُ القماش البيضاء على امتدادِ خدِّ الخياط . يخفض الخياط رأسه . تطير الخرقةُ من خلف رأس الخياط ، بيضاء وغير مجعدة . ترخي وِلما النحيفة منديلها . تطير الخرقة البيضاء على امتداد جبهتها وفي رأسها .

يسير الحارس الليلي تحت الأشجار دافعاً دراجة وندش القديمة .

تجلجلُ الشارةُ الفضية للسيارة في جيب سترة الحارس الليلي . تخطو صانعة اللبن حافيةَ القدمين على الحشيش بجانب الدراجة . قلنسوتُها الزرقاء قطعةٌ من ماء ، والأوراقُ تطفو فيها .

يمشي قائدُ المصلين الهوينا عبر باب الكنيسة حاملاً كتاب الترانيم . انه كتاب (القس أنتوني) .

يدقُّ ناقوسُ الكنيسة . تقف زوجةُ وندش عند باب الكنيسة . تطنُّ آلة الأورغ من خلال شعر وندش في عتمة الهواء . ينزل وندش مع زوجته إلى المجاز المكشوف بين المصاطب . كعوب حذائيهما يضربان على الحجر . كفّا وندش متشابكتان . وندش يتدلّى من صليب زوجته الذهبي ودمعةٌ من الزجاج تتدلّى على خده .

عينا وِلما النحيفة تتابعان وندش . تهزُّ وِلما النحيفة رأسها " لقد حصل على تلك البدلة من الجيش " تقول للخياط . " يتناولون العشاء الرباني ولا يعترفون " .

ببلوغرافيا المترجم

صدرت له :

* (مدينة الحجر) عن اتحاد الأدباء والكتاب في العراق 1993
* (حكايات عن الغرف المعلقة) قصص قصيرة جداً عن دار أزمنة عمّان 2003
* (أمي والسراويل) مجموعة شعرية عن دار أزمنة – عمان 2004
* (فضاءات التيه) مجموعة قصصية عن دار عن دار ألواح في اسبانيا عام 2004
* (فراسخ لآهات تنتظر) رواية عن دار ورد – عمان 2006 .
* (سبت يا ثلاثاء) رواية عن دار أزمنة – عمّان 2006
* (اش ليبه دش) مجموعة قصصية عن دار تراسيم – بغداد 2008
* (من الأدب الروائي – دراسة وتحليل) كتاب نقدي عن دار الشؤون الثقافية العامة بغداد 2008

* 2009 أصدر مجلة (تراسيم) التي تعنى بالقصة القصيرة جداً ويرأس تحريرها . وهي أول مجلة عراقية تعنى بالقصة القصيرة جداً .

* (طريق ضيق باتجاه الشمال العميق) مسرحية مترجمة للكاتب الانكليزي ادوارد بوند 2009 .

*(أسفل فنارات الوقيعة) كتاب قصصي عن دار الينابيع – دمشق يضم مجاميعه القصصية الثلاث (مدينة الحجر) و (فضاءات التيه) و (إش ليبه دِش) 2009 .

* (فراسخ لآهات تنتظر) رواية بطبعة جديدة عن دار الينابيع 2010.

* (الرؤى والأمكنة) كتاب من ذاكرة المكان عن دار الينابيع 2010.

* (سبت يا ثلاثاء) رواية بطبعة جديدة عن دار الينابيع 2010.

* (فتى أوروك) قراءات نقدية عن أدبه لنخبة من الناقدين الأكاديميين والأدباء العراقيين تقديم وتحرير د. فاضل عبود التميمي .

* (افراس الاعوام) رواية دار تموز – والمؤسسة العربية للدراسات والنشر –2011

*(اسم العربة) رواية – المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2012

*(تراجيديا مدينة) رواية – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – 2013

*(مملكة الابداع) دراسات وافكار – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – 2014 .. كما صدر نفس الكتاب عن دار الشؤون الثقافية 2014

الجوائز :

- الجائزة الأولى في مسابقة (تموز الكبرى) التي إقامتها صحيفة (الجمهورية) – بغداد عام 1993 .
- الجائزة الأولى في مسابقة (الأدباء التربويين) في الشعر التي أقيمت في محافظة واسط 2007 .
- الجائزة الأولى في مسابقة (جعفر الخليلي) للقصة القصيرة التي أقامها اتحاد الأدباء فرع النجف 2009.
- الجائزة الأولى في مسابقة (عبد الإله الصائغ) في القصة القصيرة التي أقامتها مؤسسة النور في السويد 2009 .
- الجائزة الثانية في مسابقة القصة التي أقامتها دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد 2009 .
- الجائزة الثانية في مسابقة هيئة النزاهة العامة الأولى 2010 للقصة .
- الجائزة الاولى لمسابقة نازك الملائكة للقصة القصيرة جداً .. 2013
- الجائزة الاولى في مسابقة الرواية (افراس الاعوام) عام 2011 اقامتها دار الشؤون الثقافية – بغداد

بريده الالكتروني :

•

Zaid_samawa@yahoo.com

zaidsamawa@yahoo.com